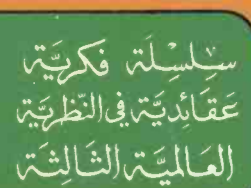
كتاب
الزحف الاخضر
7





احمد ابراهيم

الجديد

المنشأة العامة للنشر والتوزيع والاعلان
طرابلس ـ الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية

عيسى يوسف الكويتي

كتاب
الزحف الاخضر

كتاب
الزحف الأخضر

أحمد ابراهيم

الجديد

منشورات
المنشأة العامة للنشر والتوزيع والاعلان
طرابلس - الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية

الطبعة الأولى

1391 و . ر ـ 1982 م



المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان
طرابلس - الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية

محتويات الكتاب

إهداء

إلى الأفريقي الذي لم يفقد روح المغامرة
ولم يفقد المثابرة والطموح ..

إلى الثائر جيري رولينغ .

أحمد

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقـــدّمَـة

حتى وان كانت مقالات هذا الكتاب قد نشرتها صحيفة الزحف الاخضر التي تصدرها اللجان الثورية ، فإنها منهجياً مطلوبة للخروج في شكلها الجديد هذا لضرورة عرضها على أكثر من مستوى ، ولإمكان إبداء الرأي حولها ، ونقاش فحواها ، واختبار أسلوب طرحها العقائدي .

وبالنظر إلى الحاجة الماسة التي تدفعنا إلى البحث عن أي توضيح للفكر الجديد الذي قدمه الكتاب الأخضر في شكل نظري مجمل ومتكامل ، فإن هذا الكتاب نقدمه لنبين عن طريقه أحد المستويات المفيدة في فهم هذه النظرية العلمية الجديدة .

طرابلس . 1 /2 /1982م

الأَمَلُ



دائما هناك بارقة امل جديدة كما يقول المتفائلون . . فهذا الكون الكئيب مليء باليأس حتى فاض كيله وصار من المستحيل أن يحتمله اهله لولا بعض آمال تلوح كلوح السراب تعطي الناس الرغبة في احتمال المزيد ومداومة البقاء .

قال لي بعض الاوروبيين : ـ ما نرى لنا طاقة في احتمال المزيد من المعاناة وانها لمعاناة مضنية ايها الصديق أن ترى الآلام تزحف نحوك وانت فيها تغوص وتغوص كأنك تعيش كابوسا مزعجا تشعر تحته بالضعف والخور وعدم القدرة على الحراك والمقاومة . .

وقال آخرون اننا نعيش عالما ليس لنا .

ونعيش عيشا ليس لنا . . بل اننا انفسنا نشعر بوضوح

بفقدان ذواتنا . . فنحن لا اتجاه لنا ولا طعم لحياتنا ولا لون ولا رائحة . .

هو وحده صاحب الاتجاه والطعم واللون والرائحة هذا الدولاب القاسي الذي لا يملك عقلا ولا وجدانا . . دولاب القهر والظلم والاستغلال دولاب الرأسمالية . . دولاب الاحتكارات . . دولاب الهيمنة الامبريالية هو الاقوى وهو الابقى . .

ويضيف آخرون أن وجودنا ميئوس منه الى درجة لا تطاق . . نحن تحت رحمة المجانين اولئك الذين يجمعون الى قبضاتهم القوية الطاغية ازمة الأمور انهم مجانين فعلا هؤلاء الذين يلعبون بأسلحة التدمير الشامل من ناحية . .

ويلعبون بمصائر الشعوب من ناحية أخرى .

انهما أمران خطيران . . مهددان لوجودنا البشري آجلا أو عاجلا انهم مجانين اولئك الذين بمجرد اعتلائهم

عروش الدول الامبريالية الكبرى يظنون أنه صار من حقهم أن يتصرفوا كآلهة أو كملوك مفوضين من قبل الرب . . أو هم الرب الذي يجب أن يفوض من يراه لما يراه . . دون اعتراض من أحد .

ايها الصديق هل تظن بأن الشعوب هذه سوف تطيع هؤلاء ؟ . . كلا !

حتى بعد أن مارست الدول الامبريالية الارهاب الدولي في أسوأ صورة فإن الشعوب لم تنثن عن تطلعاتها وآمالها . .

وهؤلاء المجانين باصرارهم وعنجهيتهم وبتعصبهم وارهابهم يخلقون وضعا غاية في السوء واليأس بالنسبة لوجودنا ولعالمنا اما تراهم يتكبدون خسائر وراء اخرى كلما حاولوا التفكير ـ مجرد التفكير ـ في انتزاع نصر لصالحهم ، ان ذلك مرده أن الشعوب تزيد من استبسالها واستماتتها في الدفاع عن حقها في الوجود الحر الكريم

كلما شعرت ان التهديد لهذا الوجود هو ايضا يزداد عنفا وضراوة . .

ومع الخسائر الفادحة التي تصيب هؤلاء المجانين تسمح لهم امكاناتهم المادية (التي أعمتهم) بالاستمرار في اللعبة المميتة .

إن هذا خلق جوا من الرعب غير العادي وخلق وضعا مهددا وغير مستقر في العالم كله . .

إن الناس تشعر بكابوس التهديد دائما وهي تعيش في نفس الوقت حياة الاستغلال والقهر على المستوى الاقتصادي والاجتماعي بسبب الابتزاز والاحتكار والتمايز الذي تمارسه الامبريالية ناهيك عن أن تمارس الامبريالية الارهاب الحقيقي بالقتل والتدخل العسكري واعداد العدة باستمرار للتنكيل بالشعوب عن طريق تجنيد قوات التدخل السريع وحبك المؤامرات الضارة بكيانات الشعوب ووجودها المستقل كتلفيق الانقلابات

السياسية والاضطرابات العامة وتغذية الحروب التي كثيرا ما تدوم لعشرات السنين ساحقة ماحقة . .

مع تشجيع العنف واذكاء روح العداء والحقد الديني والقومي . . والاجتماعي . .

وسمعت احدهم يصيح مرة بأعلى صوته مخاطبا من يسمعه : -

إن عالماً كهذا سيؤدي بنا إلى الاندثار مالم نحطمه . . انه بالباطل وعلى الباطل . . بالظلم وللظلم بالاستغلال وللاستغلال قد بنى وليس لشيء آخر !

ورغم ما رأيته وما سمعته وما لمسته احيانا من عوامل اليأس والاستياء في عالمنا هذا المليء باليأس والقنوط فإن بارقة للأمل لا بد من الاقرار بها . . فلا مناص من ان يقر المرء بوجود شيء صار وجوده ملموسا امامه . إن كثيرا من الذين اطلعت على آرائهم أو درستها لا يوافقون على أي بارقة أمل جديدة . .

•

كتب المفكر الفرنسي روجيه غارودي رواية تحت عنوان (من أكون في اعتقادكم) تنم عن أنه لا يوافق على وجود أمل جديد البتة !

وخلاصة ما يقول : « إن جيلا جديدا من الناس نشأ على حب الحياة وكراهية الظلم فتمرد على علاقات الاستغلال والعسف » .

واستطاعت جماعة من الناس في جزيرة ما أن تستوعب آراء كهذه من أحد أبنائها ، فإذا هي تبني جماعة بشرية على نسق جديد . . فتنهار الحكومة . . وتنهار المؤسسات . . وتنهار المخابرات . . وينهار الجيش والشرطة ، ويقوم الناس كلهم بواجباتهم الانسانية والوطنية خير قيام على مدى عشرين عاما متواصلة بلا انقطاع يثبت خلالها فساد الحجج التي أقيم على أساسها مجتمع القرون الماضية الرجعي الديكتاتوري الدموي . .

وتنجح جماعة الجزيرة تلك في التعرف على الطريق الصحيح إلى علاقات سليمة بين البشر يسودها الحب والمساواة والاحترام والتعاون بلا تمايز ولا هيمنة ولا اضطهاد غير أن العالم خارج تلك الجزيرة . . بقي على حاله بقيمه القديمة الرجعية . . ومفاهيمه الخاطئة وعلاقاته الظالمة .

وهذا العالم خارج الجزيرة شعر بخطر حقيقي على أوضاعه السياسية والاقتصادية والاجتماعية أن تدمرها القيم والمفاهيم والعلاقات الجديدة السليمة التي تسود بالجزيرة . .

فصوب العالم الرجعي الكبير . . حصارا وعزلا على تلك الجزيرة . . لا يذهب إليها أحد ولا يأتي منها أحد . . لا تبيع ولا تباع ! واستمر الحصار عشرين عاما هي عمر الصمود للقيم الجديدة . . وهي في نفس الوقت عمر المؤ امرة التي كان يحيك خيوطها عالم الرجعية والظلم

وفي نهاية ذلك لجأت الجزيرة إلى طلب التعاون فيما بينها وبين عالم الرجعية والتخلف ذاك !

لكن العالم الرجعي الحاقد والمتحفز كان يتربص بها ويتحين لها الحين المناسب فانقض عليها ودمرها . . » .

ورغم النتيجة المأسوية التي أنتهى إليها تقدير صاحبنا . . فإنني شعرت وكأنه كان يتكلم مرة عن يثرب في القرن السابع بعد ميلاد المسيح عليه السلام . . وما جرى لها مع جيرانها من احداث .

أو هو يتحدث مرة أخرى ـ كما تخيله ـ عن الجماعة المؤ منة وآل هاشم إذ هم (بالشعب) محصورين معزولين عن قومهم بسبب ما نبت فيهم من الأمر الجديد المهدد للبناء القديم . .

ولعل الأذكياء من قرائنا يتبادر إلى أذهانهم شيء أهم هو صورة ليبيا التي تبنت اطروحات النظرية العالمية الثالثة

فدخلت عصر الجماهير وأعلنت الجماهيرية لأول مرة في التاريخ .

ولكن هل ماتت يثرب حينما أرادوا لها أن تموت ؟

هل هلك بنو هاشم في شعبهم ؟ وفوق هذا كله فإني أرى اضافة فصل للرواية التي أشرت إليها يحدد بدقة ووضوح انتصار الجزيرة على الحصار والمقاطعة . . وحذف خاتمة الرواية اليائسة المتهالكة .

بعضهم قال لي مرة : ـ إن عصر الجماهير سينتصر . وأكد لي بأن المسألة ليست على الاطلاق نوعا من العاطفية أو القطعية « الدوغماطيقية » .

وكان يذكرني بأنها بارقة أمل الخلاص الحقيقي ، بل هي الحل الأمثل لمشكلات عالمنا وهو السبيل الوحيد لبناء عالم متقدم ونظيف للانسان . .

هو عالم الحرية والسعادة الذي يصبح فيه الناس متساوون يشعرون بلذة الانتماء إلى عالمهم وشرف الولاء له . .

والعالم الذي تندثر فيه العلاقات الظالمة وتتجسد داخله علاقات العدل والتقدم .

انه العالم « البديل » عن عالم الامبريالية والهيمنة والارهاب الدولي . . وتحكم المجانين !

وبرر لي رأيه . . بأن عصر الجماهير وحتمية انتصاره هي مسألة علم ومنطق تتجه رأسا إلى العقل والفهم ، وهذا يجعلها بعيدة عن الحصار والعزل ويجعل هزيمتها أمرا مستحيلا .

نقلت هذا التبرير لأحد أصدقائي فضحك قائلا : ـ
وهل في عالم الظلام هذا عقل أو منطق حتى نعول عليه ونحتكم إليه ؟!

إن ذهن العالم ملىء رعباً وظلما وطغيانا فليس يسع شيئا جديدا بعدها ابدا .

ولم أوافقه على رأيه وكان رأيي ان نحتكم فعلا إلى عقل

الانسان وذهنه إلى قيمه ومثله وطموحاته فهي وحدها ستكون السلاح الامضى لانتصار التقدم والحرية .

وإني لشديد الايمان فعلا بأن الانسانية المعذبة في عالمنا الموبوء هذا ، ستهب ذات ليلة أو ذات صباح لتلقي بالقيود والأغلال إلى الجحيم وتلقي باصحابها كذلك . . أفلا ترون إلى عرب ليبيا وقد فعلوا ! . . هذه هي البداية إذا ! وغداً ترفرف الراية الخضراء في عمق العوالم كلها . . وتحتضنها المهج والأفئدة التي شفها الضيم والظلم . .

ولن يعجز الزمن عن استيعاب الخصب في عالم أخضر ملىء عدلا وحبا ومساواة ويجهد الزمن نفسه للحاق. . وتدفعه السواعد والأ كف ليعطي بعدا للحياة .

وأراني كلما جاء الثاني من مارس هذا العيد الانساني العظيم . . عيد إعلان أول جماهيرية في التاريخ أهتف ملء الحياة . . المجد للانسان حرا كريما عزيزا ولتسقط الأصنام والقيود والدجل .

مَدْخَلْ

أحاول أن أرى بعينين مفتوحتين ، عالماً مليئاً بالظلم والقهر والتخلف .

وأحاول أن أجد شيئاً أو طريقاً يخلص الانسان من نهش الذئاب ، ويحرر ارادته من هيمنة الهمج .

وأحاول أن أجد سبيلا يزرع الحرية ويصنع العدالة ويبني التقدم .

في عالم طغى فيه الأقوياء على المستضعفين في الأرض فأذاقوهم العذاب ونهشوا لحمهم وامتصوا دمهم وخيرات بلادهم .

وأرسوا علاقات الظلم والاستغلال بين الناس وتعمقت الفوارق بين البشر أفراداً وطبقات وشعوباً مما

هدد الوجود الانساني كله بالدمار إثر الحروب الطاحنة والانهيارات الشاملة المتتالية التي سببها واقع الظلم والتخلف في عصرنا وفي العصور السابقة وأرستها ثقافة الاستلاب والعبودية التي مسخت الانسان وشوهت حياته وانجازه ومستقبله . . فحدت من تأثيره على واقعه المتخلف ليصبح عاجزاً عن تحرير نفسه وبناء تقدمه بارادته الحرة الفاعلة ، ان انسان عصرنا انسان مكبل بالحاجة ومقهور بالفكرة والايحاء وممنوع من الانعتاق . . ومستغل من آخرين صاروا أشبه بمجانين بل هم كذلك ، يسعون كل يوم لمراكمة ثرواتهم وزيادة سلطاتهم وتوسيع دائرة نفوذهم ، دون اهتمام بخطورة ذلك أو اهتمام بنتائجه . . .

فهم يحصدون الشعوب في مجازر ابادة جماعية عرقية عبر العالم شرقاً وغرباً . .

وهم يغرفون مقدرات الشعوب المادية إلى جيوبهم عن طريق احتكاراتهم بلا تحديد .

وهم يمسخون الثقافة القومية للشعوب ، ويشوهون الأفكار التقدمية ويحولون دون وصولها إلى الناس ويجرمون تداولها ويمنعون تعاطيها .

والشعوب لم تصل بعد عبر مساحات الألم والمعاناة إلى أكثر من محاولات مبتورة ابتسرها واقع التخلف وأوضاع الهيمنة الفكرية والثقافية على الشعوب وطواها ضعف السلاح الإيديولوجي الذي تشهره لمحاربة الظلم الواقع عليها ، وأجهضها فساد الأداة التي تستثمر العمل التقدمي وتوظفه لمصلحتها التنظيمية التي لا تعدو أن تكون شكلا معدلا عن حكومة القيصر أو الملك أو الأمبراطور . .

وهكذا لا تجد الشعوب فرصة لممارسة حياتها إلا من خلال قوالب وأوضاع لا تسمح بأكثر من الاعتراف العلني بشرعية القمع والاستغلال والابتزاز سواء على مستوى المجتمع الواحد لصالح الطبقات الرأسمالية

المسيطرة أو الفئات الحاكمة ، أو على مستوى العالم لصالح الدول والقوى العظمى التي تسعى لبسط نفوذها خارج أراضيها ، ذلك هو الاستعباد الواقع بالشعوب وذلك هو الجور الواقع بانسان عصرنا المطحون .

إن هذه الأوضاع السيئة المحيطة بانسان عصرنا والتي أحاطت بانسان العصور السابقة هي ما يدعونا إلى الرفض ، ويحرضنا على التزام موقف النضال والجهاد والتمرد .

ان المطلوب من الانسان ليس أكثر من أن يحرر ارادته ويسيطر على امكاناته ، ولكن ليس أقل من ذلك .

إن المطلوب من الانسان في ظل قيم التخلف والمفاهيم الخاطئة وعلاقات الاستغلال هو بالتحديد تدميرها تدميراً كاملا ، بداية بأشكال وقوالب الأنظمة السياسية والاقتصادية والاجتماعية وانتهاء بمضامينها السلطوية الفاشية .

انه بدون تدمير قيم التخلف وعلاقات الظلم ، لا يمكن للانسان أن يملك ارادته وقدرته ، ولا يمكن له أن يمتلك امكاناته التي تسمح له بالتقدم . .

ان الانسان إذن مسؤ ول أمام نفسه عن تحقيق حريته وايجاد كيانه المستقل القادر الحر من الضغوط والهيمنة وهو في ذلك لاجىء لا محالة إلى أسلوب واحد لا غير ، ذلك هو الثورة .

الثورة : هي مرحلة وعي وادراك عليا . .

هي معرفة قواعد الظلم والاستغلال . . القواعد الخاطئة وايجاد ارادة تدميرها بايجاد أداة تدميرها وهي اللجان الثورية . . ثم بناء قواعد العدل والتقدم على انقاض مجتمع الاستغلال .

ولعل الثورة بذلك تكون مرحلة تمرد وانفجار قوي في ذات الانسان يولد لديه المعرفة والمقدرة للهدم والبناء . . ولكن متى ؟

عندما يعرف الانسان الفرد حقيقة وجوده في مجتمعه وحقيقة أوضاع مجتمعات الانسان وفق منظور علمي تقدمي صاغه الكتاب الأخضر تحدد فيه مجال الرؤ يا الثورية لحركة التاريخ المستقبلية بداية بانسان العصر وانطلاقاً بعصر الجماهير ومعطيات التغيير الكامنة في بنية المجتمعات البشرية إلى بناء تقدم الانسانية وتحقيق حلمها في الفردوس الأرضي الخالي من الظلم ومن الطغيان ومن الاستغلال .

ذلك الحلم الذي راود الانسان منذ وجوده ولم يجد طريقاً إلى الواقع إلا عبر الخيالات أو التصورات الأدبية والفنية في روائع الآداب والفنون عبر العباقرة والمبدعين . .

غير أنه اليوم صار برنامج عمل محدد الخطوات يبدأ باللجنة الثورية ويتحقق بالمجتمع المالك للسلطة والثروة والسلاح .

هذا المجتمع الذي يحارب وجوده ويحارب الاتجاه إليه ، الطغاة والمستغلون من الحكام وأرباب الأعمال واللصوص الذين يقهرون الشعوب ويمتصون دماء البشر ويجمعون ثرواتهم وجاههم على حساب سعادة وطمأنينة الناس ، فيزرعون الدنيا فساداً وخراباً وظلماً ويلوثونها بالسواد لأجل نزوة أو رغبة أو مصلحة خاصة .

فهل ستبقى الشعوب مذعنة صاغرة مطأطئة رأسها أمام الاذلال والاستعباد والابتزاز ؟

إنها حتماً ستثور ، ولكن ذلك موضوع وقت فقط ، فحين تهدر الساحات بالملايين الفقيرة والملايين الحزينة ، وتقفل الآذان إلا للأذان عندها يسقط الطغاة وينتهي الظلام والتخلف ويعمر الأرض انسان تحرر وانعتق . .

هذا هو منطق التاريخ ومنطق الحياة .

ولأجل هذا وحده كان لا مناص لنا من ايصال صوتنا إلى كل مكان في عالمنا المظلوم المليء بالطغيان والآثام . .

لندق به كل يوم ألف مسمار جديد في نعش التخلف والاستعباد .

ولنقهر وإلى الأبد علاقات التسلط والعسف والظلم ولنبين للثوار في كل مكان مكامن الأخطاء ، ومواطن الفساد في بنية المجتمع القديم ، مجتمع العبيد والأسياد فللجان الثورية دورها في أنحاء الأرض تزلـزل العروش ، وتحطم التيجان وتزيل المظالم والتخلف بترسيخها لقيم الثورة ومفاهيم العدالة وعلاقات التقدم .

إننا في ظل هذا العالم الذي يشبه الغابة لا نملك إلا أن نحترف الثورة ونعتبرها وجودنا الخاص الذي لا بديل عنه اطلاقاً .

ولا نملك إلا أن نبشر بها شعوب الأرض لتعم الحرية ولتسود العدالة ولتتحقق الاشتراكية .

ولا يمكننا أن نراعي أو نقدر أية أوضاع غير الثورة

فنحن لا نحترم سواها ولا نتعامل إلا بها .

بل إن قدرنا ومصيرنا اختار لنا ذلك واخترناه لأنفسنا لنتحمل نصيبنا في تحرير انسان عالمنا المعذب ولنبني مجتمعاً جديداً بقيم جديدة . .

فليس أمامنا إلا أن تصدق النية وتثبت العزيمة وتشحذ الهمة ، لتبشير الأرض بالانتصار النهائي ، إنها الثورة ، قدر الأرض كما هي قدرنا .

ليس لأحد القدرة على ابتسار مدها أو الحيلولة دونه . . بل ليس لأحد القدرة على الهروب منها . . ولن يوقفها أحد .

زَيْفُ الدِّيمقراطِيّة

« التعبير مسألة طبيعة
وليس مسألة حق »

ليس هناك تعبير أصدق لوصف الديمقراطية السائدة في العالم اليوم أكثر من القول بأنها زائفة ، وانها سلب للحرية وقهر للارادة ومسخ للشخصية .

هذه الديمقراطية التي يتشدق الرأسماليون بعظمتها لا تعدو وجها زائفا لنظام ديكتاتوري يقهر الجماهير الشعبية ويسلبها حقها في السلطة وينصب فوقها حكاما من المتسلطين والاغنياء الذين يشترون بمالهم وجاههم مقاعد البرلمان ومجلس الصدارة في الأحزاب المختلفة ويصادرون كرامة الشعب واحترامه وآراءه لتسبغ بعد ذلك على رجل واحد هو النائب المحترم عضو البرلمان المتمتع بالحصانة وحده . الذي يصل الى الكرامة

والاحترام اثر انتخابات هي في ذاتها كذبة كبرى وتدجيل حقيقي . .

حيث توزع أوراق من حجم واحد وشكل واحد على عدد من أفراد الشعب ويطلب اليهم الوقوف في صفوف طويلة لالقاء هذه الأوراق في أحد الصناديق المعدة سلفا لاستقبالها . . وقد كتب على بعض الصناديق كلمة (نعم) وكتب على البعض الآخر كلمة (لا) . . وحين يضع الناس أوراقهم ، وربما وضعوها في المكان الذي يرغبون ، يعودون من جديد إلى جحورهم حيث لا كرامة ولا احترام ولا حصانة وكأنهم حين وضعوا أوراقهم تلك قد وقعوا كتاب تنازلهم عن كرامتهم واحترامهم وحصانتهم . ليعود أفراد الشعب بعد القائهم تلك الأوراق الى أماكن عملهم والى الاضرابات والمطالبة بزيادة الاجور ونبذ الحروب ويستمعون مساء الى الاذاعة التي تنقل أخبار موافقة البرلمان على شن حرب في مكان ما من العالم .

ويخرج أفراد الشعب صباحا للقيام بمظاهرة تنديد مضادة للحكومة والبرلمان يطالبون فيها بتسفيه قرارات البرلمان .

ويطلق البوليس النار وتسقط مجموعة من القتلى والجرحى في المظاهرة وتقمع الجماهير بشدة من طرف السلطة .

ان السلطة في واد والشعب في واد آخر .
أين الديمقراطية ؟
هل هي في الحزب ؟
ومن هو الحزب ؟

انه مجموعة من الناس أصحاب مصلحة واحدة أو أصحاب رأي واحد أو أهل جهة واحدة ينظمون أنفسهم ضد من يخالفهم في المصلحة أو الرأي أو من ليس من جهتهم هادفين الى الاستيلاء على السلطة بحزبهم ليتمكنوا من حكم الذين خارجه من أفراد

الشعب ونحن نعرف ان الحزب جزء من الشعب بل هو احد القبائل في المجتمع فليست القبيلة بالدم فقط ولكن المصلحة أيضا تصنع القبيلة . والحزب في هذا قبيلة حديثة .

ان الاحزاب هي قبائل العصر الحديث .

ولا يعد استيلاء حزب على السلطة نهاية المطاف بالنسبة له ولكن الاستيلاء على السلطة من قبل الحزب أو القبيلة أو الطبقة هو بداية النهاية بالنسبة لهذا الحزب أو هذه القبيلة أو الطبقة ، انها بعرضها لنفسها كأداة سلطة تجد الأحزاب الاخرى والقبائل والطبقات الاخرى نفسها مرغمة على ان تهيء نفسها بدائل لأداة السلطة هذه ويبدأ صراع لا ينتهي على السلطة .

انه الصراع الرجعي المتخلف الذي لا يعي ابدا أي منطلق تقدمي لحياة الانسان . صراع دموي غير شريف يزيد من حدته عمى السلطة وحب السيطرة

والرغبة في الاستغلال والابتزاز ، صراع يقوم به الحزب لحكم الذين خارجه .

أم هل الديمقراطية لدى الحزب الشيوعي ؟

ان أبعد المذاهب والاحزاب عن التقدمية والديمقراطية هو الحزب الشيوعي ، انه رد فعل مهووس لقهر النظام الرأسمالي وهو في الحقيقة أشد قهرا ومهانة وأبعد عن أن يكون حلا عقلانيا أو علميا بأي حال من الاحوال .

والا فما الفرق بين ان تتحكم طبقة الرأسماليين في البرلمان وتمنع الشعب عنه وبين ان يستولي الحزب الشيوعي على كل شيء في البرلمان وخارجه ، اضافة إلى حرمان أفراد الشعب من التعبير عن آرائهم حتى بالتظاهر أو الاضراب ؟ . . ان ارهاب الجماهير الشعبية لابتزازها وتسييرها بلا مقاومة الى مالا ترغب

هو استراتيجية الاحزاب الشيوعية في التعامل مع أفراد الشعب .

ان الحزب الشيوعي هو قبيلة كباقي القبائل ولكنها قبيلة قاهرة ظالمة دموية ، تستهدف سحق باقي القبائل أو الطبقات الاجتماعية مدعية ان ذلك ينتج الديمقراطية والعدالة . ويتجاهل انه سيرث المجتمع كله ، وليس هذا المجتمع الا قبيلة واحدة تكاثرت في الماضي السحيق واصبحت شعبا من قبائل عدة .

ان الديمقراطية والعدالة أو الفردوس الارضي لا يتحقق عن طريق تسخير الجماهير الشعبية لخدمة قبيلة مجنونة ودموية تدعى انها جاءت لالغاء الحكومة والدولة والمجتمع لاقامة مجتمع الطبيعة الفطري ، ونحن نعرف ان حكومة القيصر كانت أخف وطأة من حكومة الحزب الماركسي الشيوعية ولم تكن حكومة القيصر تتدخل فيما لا يعنيها ، أما الحكومة الشيوعية فإن شيئا لا يفوتها فهي تعين النظم الاجتماعية التي

يجب احترامها . وهي تصادر العقائد الدينية وتضع بديلا عنها ما تريد ، وهي ترسم سياسة البلاد الخارجية والداخلية وهي تقرر أمور الحرب والسلم .

انه لم يسبق في التاريخ ان كانت الحكومة غولا مهولا مخيفا قوي القبضة ، كما هي حكومة الحزب الشيوعي . . وانه لم تحقر ارادة الشعب في التاريخ وكذلك عقيدته كما احتقرتها حكومة الحزب الشيوعي .

ان ما يسمى في عالمنا المعاصر باسم الديمقراطية لهو ابعد ما يكون عنها . .

ان الديمقراطية هي الحكم الشعبي . . فهل ثمة حكم شعبي في عالمنا ؟

ان الديمقراطية هي استيلاء الشعب على السلطة وممارسة الحكم وليست سلطة نواب عن الشعب .

ان النائب يكون عن الغائب . وان التمثيل النيابي تدجيل على الديمقراطية ، وليست الحزبية الا اجهاضا للديمقراطية .

لان الديمقراطية هي حكم الشعب كله . . وليس جزءا منه والحزب جزء من الشعب ويعتبر وصوله الى السلطة أمرا حائلا دون الديمقراطية التي هي الحكم الشعبي .

ان سيادة الشعب كل لا يتجزأ بحسب القبائل والاحزاب وليست مما يقبل التجزئة أو الانقسام ، وليست مما يكون جزئيا انها كلية وشمولية تأخذ مجراها السياسي والاجتماعي عند اقامة حكم الشعب كله لا حكم جزء منه .

ولذلك فان سيادة الحزب تدمير لسيادة الشعب .
أم هل الديمقراطية في حرية التعبير ؟

ان كل المخلوقات تمتلك نمطا طبيعيا في التعبير عن

ذاتها ولا تتوقف عن ممارسته في أحلك الظروف وأشد الاوقات عبودية وظلما ، وان الامتلاك الطبيعي للتعبير لا يعني شيئا لمن يمتلكه .

ان التعبير مسألة طبيعية وليس موضوع حق .

ان الطبيعة تمنحنا قدرة على التنفس وتمنحنا الهواء الذي نتنفسه وهي كذلك تمنحنا القدرة على التعبير وتمنحنا وسيلته غير ان الديمقراطية ليست موضوعا طبيعيا (فيزيقيا) ولكنها مجموع علاقات اجتماعية وموازنة بينها وترتيب لها ، ان الديمقـراطية هي موضوع حـقـوق وواجبـات ، ومسـؤوليـات ووعـي بالمسؤوليات ، انها معادلة مركبة من عناصر مختلفة في الحياة وفي النفس وفي السلوك . .

انها درجة وعي محددة يحملها الانسان بعد اكتسابه أنواعا وكميات من الثقافة والمعلومات والتجارب تمكنه من ان يجعل نفسه ومجتمعه قادرا على القيام بمهمة

حضارية تسبغ على الانسان انسانيته وتجلب الى عالمه السعادة والبقاء .

انها مرحلة يرفض فيها الانسان كل تسلط عليه وكل استغلال له ويحقق فيها وجوده الانساني بترسيخ قيم ومفاهيم العدل . . ان ينال كل انسان حقه ، وان يترك ما ليس له حق فيه .

ان السلطة حق للشعب ، لانها علاقة اجتماعية أنشأها المجتمع أو نشأت عنه ، فهو حق لكل مواطن في المجتمع ان ينال نصيبه منها بنفس القدر الذي لغيره .

وكذلك كل الأشياء الاجتماعية بداية بـالقيم والمفاهيم وانتهاء بالعلاقات السائـدة ، هي حق للمجتمع وليس من حق احد أن يصادرها أو يحتكرها أو ينفرد بها .

(ان الديمقراطية هي الحكم الشعبي وليست

التعبير الشعبي) .

ان الصحافة والاذاعة ووسائل التعبير يجب ان تكون للشعب ، ولكن الصحف والاذاعات التي تسيرها أو تمتلكها جهة أو مجموعة لا تعبر عن الشعب ، ان الشعب يعبر عن نفسه .

ولا يعني ان التعبير يمكن ان يكون بديلا عن الديمقراطية في وجهها الصحيح .

ان المجتمع الدولي الراهن فقد الديمقراطية منذ أزمان بعيدة ، وهو يعيش الآن حياة خالية من أي نوع من الديمقراطية .

ان الخلل العجيب الذي فرض نفسه على المجتمعات الانسانية والمتمثل في قدرة بعض الناس على السيطرة وعدم قدرة الآخرين على تحرير أنفسهم هو القاعدة في عالمنا وغيره الشذوذ .

ان المطالبة بالحريات العامة والديمقراطية هذه التي نسمعها مرارا من أطراف القوى التي ليست في السلطة في مجتمعاتها هي رغم خوائها وسطحيتها تقرير واقعي عن ظروف الحياة السيئة التي يحياها اناس عصرنا .

ان الصراع المدمر على السلطة الناشب بين الادوات السلطوية في المجتمع والتي تطرح نفسها بدائل لبعضها هو الطاحونة الطبيعية التي تطحن الجماهير الشعبية وتلقي بها على ثفالها مسحوقة لا مبالية ، غير مدركة حقيقتها وحقيقة غاياتها نتيجة للتجهيل المتعمد والمتاجرة المعلنة من طرف القوى السياسية المتصارعة المتآمرة على الشعب .

ويظل الشعب في ظل الوضع الذي وصفناه آنفا بعيدا عن دائرة التأثير والفعل غير مدرك ولا قادر على مواجهة هذا الوضع وبالتالي يظل بعيدا عن تحقيق الديمقراطية ، بعيدا عن النضال من أجلها لان ذلك

يقتضي ادراكا عميقا لديناميكية الاوضاع الاجتماعية والحضارية والسياسية في المجتمع ويقتضي مقدرة على الصمود وانتقالا من أوضاع الدفاع الجماهيري الى الهجوم الشعبي ضد القـوى التي توظف غيـاب الجماهير الشعبية لمصالحها الطبقية أو الحزبية أو الشخصية .

ان البحث عن الديمقراطية ومحاولة الوصول اليها يبدأ بتحطيم الادوات السلطوية غير الديمقراطية من الحزب والطبقة والقبيلة والفرد ومجموعة الاحزاب وغيرها .

كذلك فان الوصول الى الديمقراطية يمر حتما بتحطيم الحكومة التقليدية في شكلها التقليدي .

ان الادوات السلطوية التقليدية وحكوماتها يجب أن تنهار بزحف الجماهير الشعبية وسيطرتها على القرار السياسي واستيلائها على الادارة العامة ، بالمؤتمرات

الشعبية واللجان الشعبية ، ان الادارة الديمقراطية الوحيدة التي يجب ان تستولي على السلطة وان تنتزعها مما عداها هي الشعب كل الشعب .

انه ليس للديمقراطية الا وجه واحد ، وطريقة واحدة ووسيلة واحدة هي المؤتمرات الشعبية التي تجمع كل الشعب ومنها يقرر قراره السياسي والاجتماعي والاداري ويختار عن طريقها لجانا شعبية تنفيذية تتكفل بالقيام بالاعمال الادارية وتحاسب أمام المؤتمرات الشعبية . وتراقب من قبل المؤتمرات الشعبية .

ان أي طريقة غير هذه محكوم عليها مسبقا بالفشل والاندثار والوقوع في دوامة الصراع على السلطة التي لا تنتهي .

ان ميراث الانسانية الحافل بالمقولات التي ترسخ تبعية الجماهير للسلطة المتحكمة في الجماهير مسؤ ول

مسؤولية كبرى عن وجود رأي عام جماهيري في كل الشعوب لا يستوعب مسألة سلطة الشعب ، والغاء كافة الاشكال الدكتاتورية المتسلطة على الشعوب .
ان المقولات التي تشير الى ان :

- لا ديمقراطية بلا برلمان !
- ولا حكومة ديمقراطية الا التي يرضى عنها الشعب وينتخبها !
- والقانون السليم هو الذي يرضى عنه الشعب .
- وللشعب الساخط الحق في ان ينحي حكامه !
- وحرية انشاء الأحزاب !
- وحرية التعبير ومزاولة الحياة في ظل احترام الحريات العامة !

ان كل هذه المقولات هي مقولات رجعية . ساهمت عمليا في تخدير عقل الانسانية واعمته عن الحقيقة الواضحة وهي :

ـ انه : لا ديمقراطية بلا مؤتمرات شعبية .
ـ وان التمثيل تدجيل .
ـ وان الديمقراطية هي الحكم الشعبي وليست التعبير الشعبي .

ان زيف الديمقراطية وتزوير ارادة الشعوب يسوقها الى انهيار حضاري شامل يسقط منجزاتها المعنوية والمادية لتبقى طبقة الحكام وعناصر السلطة والمجموعات الاجتماعية المستفيدة من التخلف على قمة هرم اجتماعي يبدأ بالصفر ويتناهى إلى أرقام خيالية في الارتفاع .

ان هذا الوضع لكفيل بوضع حد قريب لنهاية الانسان كعنصر من عناصر الوجود .

ان الدفاع عن وجود الانسانية يحتم احداث حركة نوعية في عالمنا ، تغير من اتجاه سيره ، وتقلب قيمه ومفاهيمه ، وتنسف علاقاته الظالمة المجحفة المتخلفة

نسفا بغير رحمة على يد الجماهير الشعبية ، التي تتم توعيتها ويتكامل تعليمها السياسي على يد مجموعة من الثوار ، تكشف زيف الحياة العامة سياسة واقتصادا واجتماعا عن طريق دراستها للكتاب الاخضر ، فتحرض الجماهير على الانقضاض والاستيلاء على السلطة ، وبناء مؤتمراتها الشعبية التي تمارس من خلالها سلطتها ، وتسقط عن طريقها كافة انظمة الحكم الدكتاتورية .

بُؤْسُ الإشْتراكِيَّة

لم يأت يوم فيما مضى كانت فيه السيدة الاشتراكية بحالة حسنة أبداً . . فعلى مر الأيام ومر السنين كانت هذه السيدة مصابة بأمراض شتى لم تبرأ منها حتى يومنا هذا . . وانعكست أمراضها الخطرة على مظهرها الذي أصبح سيئاً إلى درجة لا تطاق . . فلقد خرجت هذه السيدة في بعض سني عمرها التعس وقحة تعلم الناس الاستجداء والخمول والتسليم في القواعد الطبيعية كما أبرزتها كتب الطوباويين والفابيين .

برزت مخرفة غبية ساذجة أو فاقدة عقلها لدى آخرين ثم غولا أكولا مملولا عند ماركس ولينين ، لونها لون النار ولون الدم ، ولها طعم الهزيمة والخراب ، أو لها منظر الثأر والسطوة ، أو عندها حق

القهر والغلبة . . وخيبة الأمل النهائي . . وهي بعد ذلك كله ملح بالجبن ، وزبد بالهواء وريح بلا أشرعة . . بل هي أحلام غرقى ، وأوهام مرضى عند سكان العالم الثالث المدعو عالما نائماً أو نامياً . .

. . ولعل هذه السيدة لم تكن في عمرها أسوأ مما هي عليه الآن في كل الأرض . . فهي اليوم مطية الراكبين ومداس الراجلين ، وقميص عثمان الذي عليه يختصم الحكمان ، وهي خرقة كل حائط في المغارب والمشارق . . الكل يصيح : انها له غاية ، وهي لم تنل من الواقع حظاً ، لا صغيراً ولا كبيراً . .

والناس تعرف أن هذه المسكينة هي الشرط الأساسي لبقاء الحياة ، واقامة العدل ، وتحقيق التقدم . .

ولكن الناس التي تعرف هذا هي التي لا تسمح للاشتراكية أن تطأ نفوسها ، أو أن تنير دربها ، أو أن

تبين لها أمر حياتها ومماتها ، وشأن أهلها وأرضها . .

وهذا هو الحال في كل مجال . . .

يسود الظلم والتخلف أرجاء الأرض .

ويسعى المظلومون جاهدين إلى نيل حقوقهم لكنهم لا يلبثون جميعاً أن يطرحوا جانباً مسألة الاشتراكية العقلانية الفعلية إلى غيرها من الاطروحات الأنانية المريضة ، أو السلوكيات السطحية الضارة بمستقبل البشرية وحضارتها وغاياتها .

ويبقى الانسان وحضاراته يتخبطان في بحر من الغموض واللاتحديد يسلب الارادة ويقهر العزيمة ويحارب التصميم .

وتدق رأس العالم تعباً وجنوناً ، فتصطدم الطبقات والجيوش والأمم . . وتسيل الدماء وتعم السرقات

والاغتصاب والارهاب . . الارهاب الدولي الذي يعم العالم ، وتمارسه أعتى القوى العسكرية الموجودة في العالم . . وهي الدول الكبرى صاحبة السيطرة والنفوذ في هذا الخضم المتلاطم وفي هذه الفوضى العارمة . . لارهاب الشعوب وارغامها على التخلي عن ثرواتها وقناعاتها وبناء كياناتها والعمل من أجل تقدمها ليتيسر لهذه القوى الارهابية الدولية مزاولة هواياتها في اللصوصية والابتزاز والاغتصاب . .

ورغم هذا تقف الأحزاب والمنظمات والكثير من هذه المخلوقات وما إليها . . تتحدث عن تلك السيدة ـ المقدسة ـ الاشتراكية في عالم فيه ثلاث مليارات من المستضعفين المستعبدين وسبعمائة مليون جائع ، وخمسين مليوناً يموتون بالجوع منهم خمسة عشرة مليوناً من الاطفال كل سنة في عالم تتفجر فيه عشرات الحروب الطاحنة في جميع القارات ، وتتفاوت فيه مداخيل الأفراد تفاوتاً مجحفاً ، وتتمايز فيه

موازنات الشعوب تمايزاً ظاهـراً . . ويسيطر فيـه الأقوياء ، ويتجهون بالبشرية اتجاهاً سافلا نحو الفناء بما أنتجوه من أسلحة التدمير الشامل المضادة للحياة والمهددة لسلامة هذا الكوكب الذي صار صغيراً جداً لا يستوعب حركة سكانه الضخمة . . وهم قد بدأوا فعلا بتجاوزه إلى ما عداه من كواكب واجرام . . وثبتوا بالفضاء الفسيح البعيد مراكز الرقابة والدراسة وأقمار التجسس والحراسـة وربما مـراكز اطـلاق الصواريخ ذات التدمير الشامل أيضاً . . في هذا الوقت بالذات لزم لمن أوتي الحول والحيلة أن يتدخل في شأن كوكبنا الموبوء ، وانساننا المطحون والطاحن في نفس الوقت . الذي أفقدته أوضاعه السيئة ثقته بنفسه وبالناس وصرفه دماغه المشوش عن غايته المرجوة . . واضطره زمنه القنوط أن يصبح عدوانياً طاغياً ، وشجعته أسلحته وامكاناته على الظلم والقهر وتيسرت له الجريمة من ضعف خصمائه ، وجهل غرمائه مع

غناهم ، وتوفر سبل القوة لديهم في بلدانهم . .

ولعل تفاهة الغذاء ـ الايديولوجي ـ الذي اقتاته الانسان على مدى خمسة قرون متتالية هي التي نمت فيها أوروبا حتى صارت غولا خرافياً لا يعرف حجمه ، ولا يدرك حده . . خمسة قرون كاملة وعقل الانسان وروحه يقتاتان سماً زعافاً ، وقيحاً عطناً دفع شعوب أوروبا إلى الغزو والقرصنة ، والسلب والنهب ، ثم أدى بعد ذلك إلى مضاعفات عجزت البشرية التعسة أن تعالجها . . واعيا حكماء الأرض داؤ ها ، وكان قدرنا أن نحيا نحن خليط كل ذلك بكل تفاصيله في السياسة والاقتصاد والاجتماع والدين بداية بالأسرة ، وانتهاء بالانسانية . مروراً بكل فرد وكل شعب ، وكل أمة ، وكل لغة ، وكل ثقافة . .

ليس منا من أحد إلا وقد نال نصيباً من قهر أو استغلال أو تخلف أو مرض أو جهل . . الخ . ان

حال الانسان على الأرض ليس أحسن الآن منه قبل الانقلاب الصناعي أو بعده ، لأن محاولات الاصلاح التغفيلي انصبت كلها على تحسين الأجرة والتلويح بتحسين ظروف العمل أو اعطاء ميزات خاصة لبعض العاملين أما ما يقال عن نضال النقابات العمالية لتغيير أحوال العاملين ، وتعديل العلاقة المجحفة بينهم وبين أرباب العمل فلقد رأيت نموذجاً منها في بريطانيا جعلني أجزم أن الأمر لا يعدو استغفالا ذا مظهر آخر منطقي ومقبول لامتصاص غضب المسحوقين المستغلين الذين يحول انتاجهم إلى خزائن المستغلين لتستثمر مرات أخرى من أجل ذات الغرض ، وهو تكديس المزيد من الأموال ، وتسخير الانسان باعداد خيالية لاتمام تلك العملية ليعود الانسان دائراً وسط دائرة مفرغة ومغلقة لا فكاك منها .

أما إذا خرج من الرأسمالية ليدخل الماركسية أو ليضع رقبته بيد تلك الأحزاب والمنظمات الداعية إلى

الاشتراكية فإن الأمر لا يختلف مطلقاً ، ولو من ناحية الولاء السياسي ، فإن نظماً تدعي الاشتراكية تسود فيها طبقة ـ التكنوقراط ـ تقودها بحق الهي مغتصب لا يجوز الخروج عليه ، نيابة عن جماهير العاملين . . أو تقودها طبقة العسكر باسلوب فاشي متخلف بمساعدة طبقة التكنوقراط نفسها ، وفي الحالات كلها تبقى ـ البيروقراطية ـ خادماً أميناً وموظفاً دائماً يقوم بعمل ـ روتيني ـ عادي في ادارة الخدمات ، ويبقى ثابتاً يمارس ذات الدور مهما جرى من تغييرات ناتجة عن الصراع على السلطة بقيم معنوية في مقدمتها الاشتراكية ذاتها .

ان اعدام اسم الرأسمالية ، أو منع الحديث عنها ، أو حتى اعدام القيصر . . ليس أمراً مهماً بالنسبة لانسان مسحوق يتاجر الأقوياء بانتاجه يكدسونه بلا معقولية وبجنون واضح بلا هدف سوى تكديس المزيد . . والاستمرار في ذات الحلقة المجنونة . . قد

لا يعدو مهماً أن يعرف هذا الانسان أو لا يعرف ، أنه وقع أسير براثن نظام ـ دكتاتوري ـ تقوده مجموعة ذات مصالح واحدة ، أو ذات وجهة نظر واحدة . . ولكن الأهم من هذا ومن غيره أن هذه الأحزاب والمنظمات تجاهلت بشكل مخجل بدهيات ليس لأحد أن يتجاهلها في مقدمتها ان الادعاء باستيلاء طبقة اجتماعية على السلطة أمر ليس واقعياً ، وان صح نظرياً ، لأنه حتى ولو أعدمت هذه الطبقة بقية المجتمع ، فإنها ترثه بالضرورة وتشكل مجتمعاً كالذي أعدمته . . ليس هذا فقط بل ان العمال لا يمكن أن يمثلهم التكنوقراط أو المثقفون ، لأن ذلك تدجيل لا يمكن أن ينطلي الآن على شرائح العاملين في العالم ، أولئك الذين يعرفون معرفة مباشرة طبيعة هؤلاء كمستهلكين ، لا ينتجون سوى خطط الاستغفال للعاملين ، للاستيلاء على انتاجهم ، متجاهلين أيضاً أن هؤلاء الكادحين المنتجين ، لم يتغير حالهم لا المادي

ولا النفسي بين الطرفين . . طرف حكم الطبقة الرأسمالية وطرف حكم الحزب الشيوعي أو غيره من المنظمات الاشتراكية . فالعاملون يؤجرون جهدهم ويبيعون انتاجهم بأقل منه لرب عمل في الطرفين قاهر ، لا يستطيعون معه وسيلة إلى المطالبة بشيء ، وان طالبوا فإن المطالبة لن تكون رد انتاجهم إليهم وهو الأمر الطبيعي الوحيد الذي يجب أن يطالب به المنتجـون في العالم اليـوم ، ولكنهـا ستنصب في الرأسمالية على تحسين الأجرة ، ولن يقدر لها أن تنبس ببنت شفة في الماركسية وغيرها من المذاهب أو الأنظمة التلفيقية الأخرى ، متجاهلة أن الاجير عبد السيد الذي يستأجره ، ومهما تحسنت أجور الاجراء فإنهم عبيد في واقع الأمر للاجرة ذاتها التي ينالونها مقابل انتاجهم الذي يفقدونه يومياً ، ويتكدس لدى غيرهم ممن يستهلكون ولا ينتجون . ان أوضاع الانسان في

عالمنا أوضاع خانقة مميتة تجعل من الانسان مخلوقاً فاقداً لأي قدرة أو اتجاه ولا تجعل منه بعد ذلك (مشروع أمل) لحضارة مستقبلية يحلم بها المفكرون في عالمنا ويبشرون بها قراءهم . . .

ذلك ان الانسان اليوم ليس (مشروع انسان) لكنه حطام اصطدام مجموعات من القوى المتجابهة ، والرغبات المتنافرة والنتائج المتضاربة ان الانسان اليوم مزبلة تاريخية ، وعليه فلن يقدر لها أن تغير رائحتها مالم يشب بها حريق هائل ينتشر على اثره هباء المخلفات في أجواء الكون الفسيح . غير أن هذا الحريق سيجعل التربة من بعده يابسة لزمن قد لا يكون قصيراً بحيث يسمح لنا أو لمجموعة أجيال بعدنا أن تستمتع بالجديد .

هذا هو السؤال الذي وقف عنده مجموعة من المفكرين الأفذاذ ، ولم يحيروا حياله جواباً . . فمن

ماركس وانجلز وغيرهما ، وحتى ديفرجيه وغارودي وغيرهما . . منهم من ارتد سريعاً يلملم اشلاء النظام الرأسمالي برتق بعضها إلى بعض عله ينجح في اقناع نفسه بها . .

ومنهم من تخبط عشوائياً دون أن يترك القالب التقليدي المألوف لديه ، ولدى الناس في بلاده ولم يجد فتيلا . .

ولم يخسر أحد من ذلك سوى الانسان ـ كنوع ـ وكأفراد فالوقت يسبقه . وليس من مصلحته أن تستمر الأوضاع دون ترتيب جديد وإلا أضحى وجوده أصلا على الأرض مشكوكاً به وغير مؤكد . . !

لا يستطيع الانسان بعد الآن أن يتقاعس أبداً عن النظر في موضوع حياة الانسانية سياسة واقتصاداً واجتماعاً . . نظرة جدية متفحصة باحثاً عن تفسير لكل شيء . . فقد ولى زمن اللامبالاة وزمن

الاتكالية . . بل بالأحرى . . لقد ولى زمن الامن الكاذب المسروق من وهج الحرب العالمية الثانية وخسائرها الفادحة ومن ظلال وخيـالات أسلحة التدمير الشامل ، وأساطيل السطو في بحار الدول الصغيرة .

صار الانسان ملزماً بالبحث عن حل اذن ؟ . .

ولا يملك الانسان الا أن يفعل .

حَرْبُ الاحتِكَارَاتِ الرَّأسمَالِيَّة

ولكن سعي الانسان من اجل سعادته وسعادة بني جنسه لم تتوقف لحظة عبر تاريخ الانسانية كله .

وان هذا السعي الحثيث هو لايجاد طريقة صحيحة للحياة تنطلق في ظلها قدرات الانسان ، وتتفتق ابداعاته وابتكاراته ليتمكن من تحصيل حاجاته . . وهذه الحاجات ذاتها تطورت وفق التطور العقلي للانسان الذي يتطور أيضا متناسبا مع التجـربة المتراكمة في مختلف مجالات الحياة . . هذه التجربة التي يكتسبها الانسان من خلال خوضه لغمار الحياة ، ومصارعته للظروف المتبدلة والتدخلات الخاطئة من قبـل بني الانسان لحـرمان آخـرين من تحصيـل حاجاتهم .

وحين تكون التجربة المكتسبة هي فقط تسجيلا حرفيا لما حدث ، وتسليما به واقتناعا بعدم المقدرة على مقاومته وازالته . . تكون التجربة ذاتها غير ذات جدوى ولا معنى لها .

وهو ما حدث حين استسلم رعيل من الاشتراكيين في القرن التاسع عشر لمسلمات النظام الرأسمالي ، واهمها : بقاء الحكومة وبقاء الحزب ، وغياب الشعب ، وتعيين طبقة سياسية تحكم وتملك بدلا من الطبقة الرأسمالية التي قاومها هؤلاء الاشتراكيون . .

ان هذا الانحراف التاريخي لحركة الاشتراكية التي هي في الحقيقة حركة البحث عن وسيلة صحيحة لحياة خالية من الظلم وخالية من القهر وخالية من الاستغلال .

قد انتج نموذجا مكررا من المجتمع الظالم يتحد في تركيبته ودوره مع المجتمع الرأسمالي الظالم الذي كان

على الاشتراكيين ان يطالبوا بهدمه كليا . . والا يبقوا على شيء منه بما في ذلك الحكومة ـ والحزب والفلسفة الرأسمالية ـ والتقسيم المماثل للمجتمع السابق . .

ان دور الحكومة في المجتمعين واحد .
ان دور الحزب في المجتمعين واحد .
ان الفلسفة في المجتمعين واحدة .
ان التركيب الاجتماعي في المجتمعين واحد .
ان الشعب غائب ، ولا معنى لشيء بعد ذلك . .

وغيبته في المجتمع الاول طبقة الرأسمالية ، وسيطرت عليه وغيبته في المجتمع الثاني طبقة الحكام وسيطرت عليه ذلك ببساطة هو الانحراف التاريخي الذي جعل العلاقة الظالمة مستمرة حتى وقتنا هذا .

وهو ما جعلنا فعلا لفترة طويلة من الزمن نبحث عن بديل للمجتمعين .

فنحن لا نستطيع التسليم بحق مجموعة أو غيرها في

أن تحول دون الناس وتحصيل حاجاتهم ، لان الناس لن يكونوا احرارا اذا لم يحصلوا على حاجاتهم ـ كما ان حاجات الناس هي انتاجهم انفسهم لان انتاجهم هو ما يحتاجون اليه .

ان الحيلولة دون حصول الناس على حاجاتهم يعني سرقة انتاجهم .

ان هذا القانون الطبيعي ينطبق على الافـراد والجماعات والشعوب . . وعلى البشرية برمتها انه بدهية واضحة بذاتها ، متميزة ومحددة ومباشرة . .

غير أنه في نفس الوقت الذي حدث فيه الانحراف التاريخي للاشتراكية الذي اشرنا اليه ، حدث ما هو أشد تخريبا للحضارة والانسان ، ذلك هو نشوء الاحتكارات وماذا يعني نشوء الاحتكارات ؟

انه ببساطة احتكار الحاجات بالجملة ، وهو بالتالي حرمان الناس من الحرية بالجملة ، واستعبادهم

والسيطرة عليهم بالجملة .

انه سرقة انتاج الشعوب وسلب مقدراتها . . ان الاحتكارات هي الاستغلال السرقة على مستوى الامم والشعوب كتطور عن السرقة على مستوى المجتمع التي تقوم بها الطبقة الرأسمالية ! وبنظرة بسيطة نلقيها على خريطة عالمنا الواسع نتبين الآتي :

اولا : في العالم الثالث توجد مصادر الطاقة والمواد الخام .

ثانيا : وفي العالم الثالث يوجد الجهل والمرض والفقر .

ثالثا : وفي العالم الثالث يوجد ثالوث الاستعباد : الحكومة الرجعية . . الكنيسة الاستعمارية . . والشركة الاحتكارية .

رابعا : وفي العالم الثالث تضطرب الأحوال

والظروف ، وينعدم الامن ، ويفتقد السلام ويسود القهر .

ومعنى هذا ان ثلثي العالم من العبيد والمحتاجين والمستغلين الذين فقدوا حاجاتهم ، لان الاحتكارات الرأسمالية قد سيطرت على مقدراتهم ، وافقدتهم بذلك حريتهم .

والمعنى الصحيح عمليا لهذا هو ان السلام لن يعرف طريقه الى عالمنا المعاصر .

والتقدم لن يتحقق بفعل ظروف التفاوت الصارخة بين طرفي العالم ، وبفعل التخلف الشديد المفروض على ثلثي العالم من ناحية اخرى .

ان هذا الواقع المرير الذي يعانيه عالمنا لا يمكننا ان نعالجه بمؤتمر أو بعشرات المؤتمرات . .

ان العلاج الوحيد الناجع هو ان نهدم القوالب

والتراكيب القديمة لمجتمع الاستغلال العالمي الذي تولد من تداخل المصالح بين الدول الكبرى والحروب الكبرى . .

والاتحادات الكبرى .

ان تهديم القيم والمفاهيم والعلاقات الخاطئة والظالمة لمجتمعات الاستغلال من حيث هي اصلا . . يعد الحل الوحيد الصحيح لمشكل الحضارة الانسانية الراهن وان سلوك أي طريق غير هذا هو استمرار في الانحراف الذي أشرنا اليه .

ان هدفنا يجب أن يكون بعد الآن هو :

اسقاط البناء الاجتماعي - السياسي - الاقتصادي - للمجتمع السابق كليا والمتمثل في بلدان العالم الثالث في :

1 - حكومة رجعية فاشية .

2 -كنيسة استعمارية تمسخ الشخصية وتقوم بمهمة الغزو الثقافي .

3 -الشركة الاحتكارية .

لاننا بهذا نحرر حاجاتنا ونملك مقدراتنا ونقرب البون بين طرفي عالمنا ، ونبعد شبح الدمار عنه .

الجَدِيْد

الجديد ليس نبات الشيطان بلا جذور ولا جذوع ولا فرع ان الجديد يأتي من القديم يبدأ وينتهي إلى نهايات طبيعية معروفة لمن القى السمع وهو شهيد .

2 ×2 = ...

هكذا العالم يشبه هذه المعادلة المرتبة البسيطة في أحواله وظروفه وأفكاره وآماله وأحلامه كل شيء فيه محدد بقدر . .

وكل واحدة من أجزاء المعادلة عنصر أساسي في نتيجتها ولن تجد بالنتيجة سوى آثار تكون أطراف المعادلة أن الرقم (4) هو الناتج الطبيعي الذي يجب أن يوضع في نهاية المعادلة وهو في ذات الوقت الجديد

الذي ننتظر حدوثه أن جذور المستقبل كتبت في الماضي السحيق وان أحواله وظروفه تنمو الآن بسرعة رهيبة وحين نتوقع استقبال الجديد لا نعني شيئاً خارقاً خارجـاً من اللاوجود أو ناتجاً من اللامعروف بقدر ما نعني خروج نتيجة مركبة لتفاعل يحدث أمام عيوننا نرقبه عن كثب وندخل أيدينا وأنوفنا وعقولنا في تسييره وتوليده وتثبيته . . .

إن أحوال عالمنا التي صنعها مواطنونا في الأرض خلال قرون مضت هي التي ما زالت تطبع بصماتها وبالتالي بصمات مواطنينا على الأحوال الحاضـرة لنا . .

ولنا نحن أيضاً نصيب ما هو أكبر أثراً في أحوال عالمنا المعاصر من نصيب نظرائنا في كل العصور .

فحين اتجه الناس غداة الانقلاب الصناعي إلى تكديس الثروات وسيطرت البرجوازية على مقاليد

الأمور في أوروبا .

وسارت الجيوش في سفن بالعشرات أو المئات تمخر البحار الدافئة لتجلب المواد الخام وتدعو باسم يسوع الرب الوثنيين في الشرق إلى الدين القيم .

وحين دارت آلات المصانع في أوروبا تطحن شعوب الشرق وجماجم الطبقات الفقيرة في أوروبا مكونة معادلة طرفاها انسان ذلك الزمان من عبيد وسادة .

حين التقى الناس على حلبة الصراع المادي ، واحتكموا للقوة فسقط من سقط ونهض نوع جديد بكل معنى الكلمة . . نوع في الانسان لم يكن معروفاً وجدناه نحن في القرن العشرين . . كوضع ثابت وعادي لا يسترعي الانتباه ، وقد لا يخطر ببال أحد أن مجتمعنا هذا الذي أصفه الآن ويعرفه كل واحد منا لم يكن قبل قرنين من الزمان شيئاً مذكوراً ورغم انه الآن

قديم جداً فإنه كان جديداً يوماً ما أي أن مجتمعنا كان ينمو آنذاك اذن يمكننا أن نحاول التعرف على مستقبلنا بمعرفة ما حدث ويحدث في مجتمعنا . . فهل يا ترى سيختلف الجديد المستقبلي عن القديم الذي نعرفه ؟ . .

ان التحولات الاقتصادية الحالية لن تبني علاقات اقتصادية أفضل مما هو موجود اليوم الا في ظل مجموعة من الشروط على رأسها جميعاً الغاء القيم والمفاهيم الاقتصادية السابقة أعني التي تسود الآن في مقدمتها غاية النشاط الاقتصادي ذاتها لنصل من ذلك إلى نموذج جديد وبعيد عن سلبيات المجتمع الدولي الراهن ذي الغايات الامبريالية ان النشاط الاقتصادي يجب أن يكون لغاية اشباع الحاجات عند الناس كما يجب أن يقوم النشاط الاقتصادي وفقاً لتلبية الحاجات وتحريرها ليتحرر الناس بالتالي من ضغط الحاجات أو فقدانها لأي سبب كان . . لأن في ضغطها على

الانسان أو فقدانها أثر سلبي على حرية الانسان التي يجب أن تكون غاية مقدسة في جميع الظروف .

ان هذا المنطلق المبدئي سيجعل مجتمعنا العالمي في المستقبل مجتمع وفرة يتكون من شرائح الأحرار المنتجين الذين يستهلكون انتاجهم وينعدم بينهم الاستغلال بجميع وجوهه . مما يجعل الزيادة في الانتاج حتمية بالطبيعة دون اللجوء إلى قرارات زيادة الانتاج التي تصدرها الجهات المتحكمة في العاملين في مجتمعنا الدولي الراهن ان الفردوس الأرضي الذي تحدث عنه الفلاسفة خلال التاريخ حين دونـوا خيالاتهم وطموحاتهم أو لنقل أفكارهم وتوقعاتهم حسنة النية ، لن يكون مستحيلا حين نبني المجتمع الاشتراكي الجديد وفق هذه الأسس التي تنحصر في أن الذي ينتج هو الذي يستهلك وان الانتاج هو لاشباع الحاجات .

وان اشباع الحاجات هو لأجل اقامة مجتمع حر قادر غير مكبل بلا مظلومين ولا محرومين ولا مقهورين ان ذلك سيخلق مجتمع الوفرة الذي لن يكون بحاجة إلى نقود ولا إلى قوانين تحميها فرق البوليس المدججة بالسلاح والمدربة على أعمال القمع .. مجتمع لن يكون به سجون .

ولا مصحات للأمراض النفسية .

ولن تعرف به كلاب الشرطة .

ان هذا المجتمع الاشتراكي الجديد الذي أتحدث عنه ليست لديه مشكلة في التسويق ولا في الندرة ولا في السعر ولا في الانتاج .

ان ذلك كله أمر ثانوي غير مهم ولن يحدث مطلقاً في ظل القيم والمفاهيم والعلاقات الاشتراكية العادلة والعلمية للمجتمع الاشتراكي الجديد ..

ان أساس المشكل الاقتصادي هنا هو الانتاج الذي له ثلاث عناصر يقسم عليها وهي : ـ المنتج ـ الآلة (وسيلة انتاج) ـ مواد الانتاج .

أما رب العمل فانه غير موجود هنا ، ان وجود رب عمل يعني سرقة انتاج المنتجين من طرف لا ينتج وليس من حقه أن يفعل ، ان الطبيعة لها منطقها العقلي والعلمي وهي تعلمنا ان رب العمل حشر بلا سبب وجيه في النشاط الاقتصادي دون أن يكون طرفاً فيه .

كما ان للمجتمع الاشتراكي الجديد ثلاثة أنماط انتاجية .

أنواع الانتاج الاشتراكي ـ يقوم المجتمع الاشتراكي وكل فرد فيه بممارسة ما يناسبه منها وله الحرية المطلقة في اختيار ما يريد منها وهي : ـ

(1)الانتاج الخاص أو الفردي ـ وهو ان يعمل فرد

بنفسه مع أفراد أسرته فقط دون ان يعمل معه أحد آخر بأجرة أو بدونها وله من ذلك عائد عمله بالكامل .

(2)الانتاج الاشتراكي : هو ان يعمل فـرد في مؤسسة أو منشأة اشتراكية يكون شريكـاً في انتاجها وينال منها والحالة هذه انتاجه الخاص بالكامل .

(3)الخدمة العامة : وهي انتاج أيضاً لأن المجتمع بحاجة إليها فالمعلم والطبيب والموظف يؤدون خدمات عامة للمجتمع والمجتمع يشبـع لهم حاجاتهم المادية .

أما الذين عجزوا عن المشاركة في الانتاج وكسب عيشهم من عملهم مثل أولئك المصابين بعاهات دائمة أو مؤقتة والمرضى والشيوخ والعاجزين فإن للمجتمع الاشتراكي الجديد مؤسسة متكاملة تدعى

(الضمان الاجتماعي) تقوم على رعـاية هؤلاء وتأهيلهم وتوفير احتياجـاتهم الماديـة وغيرهـا لهم ليعيشوا سعداء في مجتمع السعادة هذا .

ان النشاط الاقتصادي في المجتمع الاشتراكي الجديد هو انتاجي بـالكامـل يهدف إلى اشبـاع الحاجات المادية وهو لذلك سيعدم الربح نهائياً لأن الربح مع أنه سرقة واضحة يجعل النشاط الاقتصادي لغير غاية اشباع الحاجات وهو يدفع أيضاً إلى نموذج اجتماعي متخلف ووحشي مثيل بالوضع الرأسمالي السائد الآن .

ان موضوع الملكية في المجتمع الاشتراكي الجديد هو الوجه الآخر لموضوع الحرية .

ففي حين تكون الملكية الخاصة مقدسة فإنه لا يجوز أن تكون بعيدة عن حرية المواطن في المجتمع الاشتراكي أو ضارة بها .

ان ملكية الشعب وليس الدولة هي مقدسة أيضاً ان الفرق واضح بين الماركسية والشيوعية أي بين شعب لا يملك ينتزع الحزب الماركسي أملاكه الخاصة ويمتلكها وبين شعب يملك كل فرد فيه حقه في ثروة وطنه . . ان معنى الشيوعية أن يكون شيء ما مشاعاً بين الناس لكل فرد حق معين ونصيب معين فيه .

أما الماركسية فإنها انتزاع أي نصيب لجميع الأفراد في أي شيء وتحويله إلى ملكية لحكومة الحزب . وحكومة الحزب الماركسي تتحول إلى رب عمل رأسمالي غايته تكديس الثروة بسرقة انتاج العمال وحرمانهم من عرق جبينهم .

ان الماركسية هي رأسمالية الدولة ـ هي ملكية الحكومة .

أما الحل الاشتراكي الجديد فإنه يلغى ويدمر القواعد الظالمة التي تحكم العلاقة بين العمال وأرباب

العمل .. وبين الملاك وغير المالكين .. ان الدولة ستكون المجتمع بأكمله .. والحكومة سيشكلها كل الناس في المجتمع .. هذا هو الوضع الطبيعي .

فللفرد الحق في أن يمتلك بيته وانتاجه وأدوات انتاجه وان كان يعمل بمفرده وله أن يملك أيضاً القدر الكافي من الأرض ليمارس عليه نشاطه فيملك مزرعة مثلا ملكية منفعة إذا كان مزارعاً ، كما يملك موقع مصنعه الخاص الذي يجب الا يكون مؤجراً من طرف آخر ولعل الايجار والأجرة معاً دفنا بعد الآن وإلى الأبد وسيذكرها الانسان مستقبلا أثناء مطالعاته التاريخ كمظهرين من مظاهر الاستغلال والظلم والتخلف الذي عانته الانسانية وتعبدت في ظله قروناً متعاقبة .

ان المجتمع الجديد الذي نريده هو المجتمع الذي لا تحكمه طبقة ولا حزب ولا مجموعة أحزاب وليس

خاضعاً لعائلة أو قبيلة أو طائفة ولا يقوده فرد سياسة واقتصاداً واجتماعاً تكون فيه السلطة للشعب وتكون فيه الثروة بيد الشعب ويكون فيه السلاح والقوة عند الجماهير الشعبية انه مجتمع الحرية .

- حرية مادية بتحرر الحاجات المادية .

وحرية روحية بالغاء الاستعباد والكبت النفسي على الانسان المسحوق المغموس بلا رحمة في أتون البحث عن لقمة العيش ، المرهون بثقافة عملية ناقصة تؤهله لأداء وظيفة مادية دون أن تسمح له باستشراف القيم والمفاهيم الروحية للدين السماوي ، دون أن تسمح له بإدراك السعادة الروحية . وحرية نفسية كعلاج للإستلاب الذي احدثته السلعة وقانون العمل ، ورسخه الاستغلال والسخرة بيد الرأسمالية المستغلة .

هذا هو الجديد الذي يجب أن تبلغه الانسانية ،

إنه خلاصها النهائي من الطاحونة المهولة ، من الرأسمالية وردود أفعالها المختلفة في الفكر والحياة والنظم المعيشية والعلاقات .

ولكن أنى للإنسانية أن تبلغ ذلك ؟ وأي سبيل عليها أن تنهجه للوصول ؟

الرَّمْزُ اَصْبَحَ شَعْبًا.. وَقِيَمًا

حين كانت الشعوب غائبة في وجودها وأثرها ، ولم تكن الظروف تسمح لها بطبع بصماتها على أرض الواقع ، ولم تكن قادرة على امتلاك امكانات التغيير والتأثير ، ولم يكن بمقدورها السير ، لتأكيد ذاتها أبعد من همس مشوش تحاول اسماعه لمن يتحكمون بها ، لا يقوى ان يكون أكثر من استجداء ذليل ، واستخذاء مباشر وخضوع حقيقي يتوسل حق الشعب من غاصبيه ، قطرة أو بعض قطرة من المحيط الذي يصنعه الشعب نفسه بدمه وعرقه وأمله وأمله .

حين ذاك كانت الجماهير تتعلق بالمصلحين ، وتؤخذ بهم وتسير أشواطا بقلبها وراءهم اذا لم

تستطع ان تضع اياديها المكبلة معهم . وكانت سباقة ان تعبر عن حبها وشغفها بقادتها الأفذاذ الذين يتلاحقون أحيانا صدفة في مراحل متباعدة من تاريخها المرير العسير في ظل ظروف القهر والمعاناة لمتطلبات الحياة الباهظة ، ولقوالب الجور المتحكمة وقواعد الظلم الثقيلة هي تتعلق برمز خلاصها .

الجماهير تحب العظام من الرجال الذين ما تفتأ تجد واحدا منهم ، قد طوته عواصف الظلام في أكنافها أو احتوته صفحات التاريخ في متونها ، حتى تلهج ألسنتها بذكره وتعلو أصواتهابمآثره ، مهللة معظمة حامدة . . ان ذلك لم يكن سوى نوع من التعويض من قبل الجماهير المظلومة المكبلة المستضعفة الغارقة في الاذلال والامتهان والعاجزة عن العمل لاثبات ذاتها وتحقيق طموحها . . نموذج من التعويض يقتضيه احداث التوازن الضروري بين المطلوب والموجود في عقلية انسان العصور

السالفة . .

انه بمعنى بسيط يعبر عن وجوده وآماله وطموحاته وكرامته وعزته وغده المشرق ويكره امسه المظلم وحاضره المقيت وشعوره بالاحتقار يعذبه ويضغط عقله الباطن على روحه ، ويتكيف مع ظرفه الحياتي ليخلق سلوكا تعويضيا تلقائيا ، يمجد به نفسه ويخلق في ذهنه وجودا مغايرا للوجود الماثل في حياته اليومية انه الوجود الرمز . .

رمز التحرير ، والقوة والانتصار وتحقيق الآمال . . ان هذا الرمز ليس له في الحقيقة ما يبرره سوى عجز الجماهير الشعبية عن تحقيق ذاتها على الواقع . . اذ لو اتيحت الفرصة لهذه الجماهير على أي وجه كان لتخلق ذاتها وتحقق وجودها لما ظهر الرمز ولبرز مكانه شيء آخر يختلف كليا عن هذا الرمز . .

ان الرمز الذي تقدسه الجماهير في السابق كان الفرد وان الفرد الذي تقدسه الجماهير هو رمزها ذاته واذ توجد الجماهير ذاتها يتغير الرمز بمقتضى ذلك فلا يعود رمزها فردا مجسدا لآمالها ولا صنما حقيقيا أو وهميا تصنعه الاساطير وتبنيه وفق مقاسات أهداف الناس وآمال الناس وطموحهم .

ولكنه يصير حقيقة أو اسلوب حركة أو طريقة حياة يمارسها الناس .

ان الجماهير الشعبية بعد ذلك تكتشف ذاتها الجماعية وارادتها القوية ، ومقدرتها على صنع التقدم وترسيخ الوجود فلا تعود تهتم بالرمز والاسطورة . . . ولكنها تعطي اهتمامها لفعلها وتأثيرها ، فتستعيض عن الفرد الرمز بالهدف الحقيقة والوجود المؤثر ، وينصب نشاط الناس بعد ذلك على تطوير الامكانات للوصول الى الاهداف القصوى

عبر الحركة الجماعية المتكاملة ، على الصعيد السياسي والاقتصادي والاجتماعي والعلمي .. في مجتمع منظم في اطار سلطة الجماهير وهيمنة الشعب وامتلاكه للثروة والسلاح .

ان سقوط أدوات القهر والتحكم والتخويف مؤذن بسقوط احلام اليقظة التي تدور فصولها حول آمال الشعب المقهور التي لا تجد متنفسا لها في الواقع فتعبره الى الخيال محققة هروبا نفسيا ، يخلق الموازنة الضرورية للنفس الانسانية المتطلعة الى الحياة الحرة الكريمة ..

ومؤذن ايضا ببداية مرحلة الابداع ، وانطلاق القدرات البشرية من عقالها لتضع على الواقع المؤثر ملامح الوجود الجديد ، الذي يجد الانسان فيه حقيقته ، وفرصته لاثبات ذاته فيخلو من تزاحم الرغبات التعويضية ، التي تضطره دائما للهروب

وتطبع حياته بطابع اللامعقولية الخيالية ، والساذجة ، والخرافية البدائية . .

ان الثورات العظيمة هي في حقيقتها النفسية تجسيد الامل الشعبي على الواقع ، ونزول الحلم الذي يراود الناس عن أهدافها الى الارض ليدغدغ المشاعر ويسبي العقول ، وهي لذلك كثيرا ما تصاحبها مراحل ذهول وخمول وجنون في بعض الاحيان . .

كما يصاحبها دائما عبادة افراد متفوقين يبرزون كمجسدين لاحلام الناس القديمة ، في شخصياتهم الاسطورية التي تعود الناس عبادتها ، وزرعوها في اعماق المجتمع جيلا بعد جيل . .

لكن ذلك كله لا يعدو ان يكون راسبة من ضمن رواسب عصور القهر والاذلال والتعويض بالخرافة عن الحقيقة غير الممكنة . .

الا أن هذا الأمر المترسب من القديم كاف لو استمر وتراكم ان يوقف الحقيقة التي بدأت تتجسد على الواقع والتي هي الثورة . .

لانه هروب آخر الى الوراء . .

ورفض مقنع للحقيقة العظيمة المبهرة التي هي الثورة يشبه تماما هروب الناس من واقعهم القديم المؤلم الى الاساطير والخرافات . .

فهم حين يتعلقون بعد ذلك بأفراد ثوريين ، انطبقت عليهم حقيقة صفات اسطورية معروفة في القصص الشعبي والاساطير القديمة انما يهربون من محاولة مطابقة انفسهم بامكاناتها الضعيفة المفتقرة ، الى عناصر الابداع ومقومات الثبات ، والتأثير على واقع بدأ يتجلى قويا ، وصارخا لا يرحم الضعف المتسرب عبر كوة سوداء في جدار الزمن القديم . .

ولا يتناسق ابدا مع اسطوانة مشروخة ممجوجة

الاصوات مخلوطة الانغام هي نفسية انسان مظلوم مقهور مكبوت مذل عبر العصور اوجد ذاته في الاقاصيص فقط .

واذا كان الانسان قد استفاد استفادة عظيمة من التعويض عن الحقيقة بالخيال وبالخرافة قديما . . فهو قد حافظ بذلك على اتجاهه القيمي وقيمه المعنوية وابقاها ماثلة في اذهان اجياله المتعاقبة . . فإن هذا الانسان ذاته سيخسر كل شيء لو فكر في استمرار عملية التعويض هذه في عصر الجماهير لانه سيفقد الحقيقة الماثلة بلا ثمن يذكر سوى نوع من الفقدان الحقيقي ، يغري به نفسه سرعان ما يتكشف له عن هزيمة ساحقة للحرية ، عندما يجد نفسه بعد جيل أو جيلين ، مطبوعا بطابع العبودية القديم ، ولا يلوم عندها الا نفسه لانه تقاعس عن ممارسة الحياة الحقيقية والوجود الحقيقي واستبدلهما بما تعود عليه من تجسيم سطحي للاشياء . .

اننا لو وقفنا نتأمل هذه الحقيقة وطبقناها على الواقع لاكتشفنا فداحة الخطأ الذي نرتكبه في حق أنفسنا وفي حق المستقبل الانساني برمتـه ، حين نتخلف عن احلال الرمز التقدمي الثوري الذي هو حرية الشعب وسلطته وامتلاكه لمقدراته وممارسته لحياته وصنعه لمستقبله واطلاق قدراته من عقالها ودعم مكتسباته . . والمحافظة على وجود الانسان وجودا متقدما نظيفا خال من التشويه . .

احلال هذا الرمز التقدمي في نفس الانسان وعقله بدلا عن أي نوع من الرمز المتسرب من رواسب الماضي البغيضة ، سواء أكان هذا الرمز يمتلك مقومات الرمز الحقيقي أو كان رمزا مزورا .

وان في التاريخ لعبرة . . (قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الارض فانظروا) . . (آل عمران 137) .

بَعْدَ مُعَانَاةٍ وَجِهَادٍ
يَنْتَصِرُ الإنسانُ في سَبَأ

انبلج الفجر قوياً أخاذاً جارفاً مليئـاً بالحيـاة مشحوناً بالأمل .

بعد سني اليأس والقنوط . .

بعد المعاناة الشديدة والمسيرة الطويلة لانسان عالمنا الذي كابد آلاف السنين مرارة القهر وقيود العبودية والحاجة .

انبثق النور مبهراً شاملا يزرع الدفـء والحركة في أوصال الانسان المسحوق المظلوم . . مبدداً ركام الظلام ، ومظاهر التخلف والعسف . . ملقياً بعالم الاقطاع والاقنان وعالم البرجوازية والاستغلال . . وعالم الامبريالية والهيمنة والطبقية البغيضة إلى الفناء والاندثار .

هكذا زحف عصر الجماهير من وسط الصحراء الكبرى . . من صحراء الشرق العظيم يبشر الانسان في كل مكان بالخلاص النهائي من الجبروت والطاغوت يبشر الانسان في كل مكان بالانتصار النهائي على علاقات الظلم والتخلف . .

يبشر الانسان بحياة جديدة في عالم جديد تسوده الحرية والعدالة ، ويطبعه التقدم بطابعه المميز لتحقيق غايات الانسان النبيلة في تأكيد وجوده وبلوغ سعادته بارساء علاقات عادلة سليمة . . نظيفة وتقدمية . .

إنه الأمل الذي رواد ملايين البشر عبر الأزمان في تحررهم من ربقة القواعد الظالمة التي صنعها الاقطاع في علاقته بالانسان المطحون المسحوق المقهور .

وهو ذات الأمل الذي راود ملايين أخرى من البشر في أزمان أخرى أعقبت النهضة وحركة التقدم

التقني من تراكم رأسمالي إلى نشـوء الامبريـالية بهيمنتها وجورهـا الذي يتجسـد كئيباً ثقيـلا في الشركات الاحتكارية وأرباب العمل الـطغاة . . ومظاهر التزييف السياسية من برلمانات وسجـون وحكومات . . ومظاهر الانحطاط الاجتماعي من تفكك للاسرة وانهيار للقيم الانسانية واحتقار لوجود الانســان وظلم طبقي همجي يسحق الـعمــال والفلاحين والجنود وخدم المنازل وتمييز عنصـري ينتهك حرمة الانسانية باحتقار واستغلال الجنس الأسود والملونين . . بل يتعدى ذلك الانهيار كل التصورات .

ويجتاز حداً يصبح التمييز فيه سيفاً يقتل المرأة والطفل أيضاً دون مراعاة لحقوق الوجود البشري ودون تقدير لقيم الانسان وحضارته . .

ودون اعتبار حتى لعقل الانسان ووجدانه وهكذا

عبر آلاف السنين تكوم الظلم فوق بعضه حتى بلغ السماء كجدار من الخيال ينتصب فوق الأرض فيبلغ عنان السماء . . يقسمها نصفين ! وينبعث الدخان من كل الأرجاء والأنحاء ، وتنفث النار أوارها في كل شيء . .

إنها نار الحروب الكونية والمحلية ، التي تخوضها قوى الإمبريالية الطاغية لانتزاع حقوق الانسانية في الوجود الحر الكريم ، ونار الاستغلال البربري الذي لا يحكمه خلق ولا قاعدة . . يسير أعمى بكل اتجاه باحثاً عن ضحية ، يمتص دم الأبرياء في كل مكان ويلعق عرق الكادحين من كل جنس ودين ! هكذا بنى الجدار . .

بل هكذا بنى كل جدار في الهيكل الموبوء الذي يسميه انساننا المعاصر : (العالم) . .

وهو يعتصر ألماً وحسرة ، ويصدر زفرات حارة

بسبب العجز المقيت عن تقديم وسيلة لانقاذ نفسه من الجحيم . . مشيراً بأصبعه إلى مأساة التفاوت في المستوى الحضاري التي تهدد مستقبل البشرية كلها . . وإلى جريمة احتكار التقنية التي تهدد أمن العالم واستقراره . .

ويلتفت مذعوراً إلى حزام الجوع والتخلف الذي يطوق الكرة الأرضية كالحزام الناسف . . ويقول باستياء شديد : إنهم ثلاثة آلاف مليون متخلف وألف مليون جائع . . إنه (نهر الهول) الذي حدثتنا الأساطير بأنه أحد أنهار الجحيم ! أو هو (نهر الويل) الذي يتصدر قائمة الأنهار الكبيرة في جهنم !

انهم ثقال الرحى وطحينها . .

أما حين أصاب داء الكلب نظام الامبريالية العقور فإنه بدأ ينهش لحم أوروبا نفسها . . فإذا الظلم الطبقي مخيم على مجتمعاتها متمثلا في صراع

دولي بين شرق أوروبا وغربها تتوفر في جعبته كل أداة كافية لاحداث تدمير لا تكفي مساحة العالم كلها لاستيعابه !

وهذا هو اذن الف مليون آخر وأخير مهدد أكثر ما يكون التهديد رغم تقدمه التقني ومقدرته الاستغلالية وهيمنته وهمجيته الاجتماعية . .

هو ذاته يصبح كالنار يأكل نفسه بعدما أصبح الآخرون رماداً .

وعند هذه النقطة يلتفت إنسان عالمنا المعاصر بكل هدوء إلى كومة من الكتب والأوراق ويقول لك بكل هدوء أيضاً . . نظريات . . وأفكار وحلول . . وأطروحات . . كل هذه التي بين أيدينا لم تعد تجدي . . ويبصق ويلتفت إليك ثانية . ويضيف من أعماقه قائلا :

لا شيء في هذا العالم يحظى باحترامي . . هذا

عالم خال من العقل ومن الوجدان ليس لشيء فيه رائحة ولا لون ولا طعم .. وليس لشيء اتجاه ما .. ولا شكل ما .

شيء واحد فقط له كل هذه المميزات هو دولاب الامبريالية الضخمة القاهر فوق الرقاب ..

أنا لست أنا وأنت لست أنت كلنا نحيا حياة ليست لنا .. إنما نحياها لأجل الاستغلال ولمزيد من الاستغلال .. نحيا حياتنا لأجل الظلمة والطغاة .. ومصاصي الدماء !

أي أمل يراودني .. رغم هذا أي أمل ! أتمنى لو ينهار الهيكل الطاغي ويتحطم ! أتمنى لو تموت الحكومات والبرلمانات والسجانون وتنهار السجون .. وتحترق الشركات الاحتكارية ومصانع الاستغلال .. أتمنى لو تموت الامبريالية !

ويجف حلق انساننا المعاصر ويشعر بالظمأ وبمرض

السكـر والتضخم فيقف عن الكلام .. وتتكلم الصحراء هذه المرة ..

منها ينبجس الخير على الدوام .. وإليها يعود الفضل عبر التاريخ ..

تكلمت القاهرة في سبها في الثاني من مارس منذ سنة 1977 م بأعظم حدث تاريخي مر على الانسان السياسي في الحقب الحديثة .. كان ذلك ايذاناً بانتهاء الامبريالية حقاً وانتهاء أدوات القهر والجور وانتصار وجود الانسان وحريته على الأوثان والطواطم والازلام .

قامت الجماهيرية لأول مرة في التاريخ البشري كـأغلى الآمـال التي راودت الانسان في الحـريـة والسعادة . وكأروع انجاز تقدمي انساني يحققه العالم خلال الحقب التي تلت نزول الرسالات السماوية ولذا فان اللجان الثورية وهي مصممة على التبشير

بقيم العصر الجديد عصر الجماهير .

ترى من واجبها أن تعلن بأن زمن الآفات إلى زوال وزمن الحرية والعدالة يترسخ كل يوم وإن الجهاد من أجل النصر الانساني النهائي هو واجب على كل انسان بغض النظر عن لونه وجنسه ودينه .

ثَوَرَةُ الغَـد

ان عالمنا المنشود الذي سعى الانسان عبر التاريخ الى تحقيقه سيصبح غاية العمل السياسي والاجتماعي والعلمي بل انه سيكون قريبا جدا غاية كل نشاط انساني على جميع الاصعدة .

ان الاطروحات التي أفصح عنها الكتاب الأخضر بفصوله الثلاثة (السياسي والاقتصادي والاجتماعي) هي التي ستدفع اجيالا كاملة من الناس الى الثورة . . والثورة الشعبية بالذات رغبة في الوصول الى تطبيق هذه الاطروحات في المجتمع الانساني في كل الارض .

ان المجتمع المثالي المتقدم الذي بيَّن الكتاب الاخضر مقاييسه وحلل قيمه ومفاهيمه . . ووضع

شروطه وظروف قيامه هو غاية النضال الانساني خلال الحقب اللاحقة منذ الآن .

وان أمر قيام هذا المجتمع المنشود هو موضوع وقت ووعي لا أكثر فإن التبشير بمبادىء المجتمع الجديد والوعي بها لدى الانسان في كل مكان هما ما يحدد فعلا بداية الثورة . . ثورة الغد ، الثورة التي يقوم بها الشباب والمثقفون والكادحون والطلاب . . والجنود . . والمنتجون . . الذين سيكتشفون عن طريق فهمهم للكتاب الاخضر فساد النظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية السائدة في بلدانهم . كما سيكتشفون أيضاً الحلول الصحيحة للمعضلات التاريخية المزمنة التي تعانيها مجتمعات الانسان . وسيتعرفون من خلال ذلك الى البديل الوحيد الذي لا يوجد غيره والذي سيستميتون في سبيل تحقيقه على ارض الواقع ، الأمر الذي سيؤدي بطريقة مباشرة الى

مواجهة أو مواجهات دامية في اكثر اجزاء الكرة الارضية .

وقد تبدأ هذه المواجهات الدامية والخطيرة بشرارة غاية في البساطة مثل ان يرفض عمال مصنع من المصانع القواعد الظالمة التي يعاملهم بمقتضاها أرباب عملهم ويعلنوا الغاء رب العمل ويشكلوا لجنة شعبية لادارة المصنع .

أو مثل أن يرفض العمال بيع انتاجهم مقابل اجرة ويفرضوا ادارتهم التضامنية بوضع يدهم على مواقع عملهم ، مدفوعين عن طريق نقابتهم أو عن طريق اللجان الثورية السرية أو العلنية التي تسعى لتنفيذ الامر بالتنسيق مع النقابات أو الجهات التي تعي الامر وعيا عقائديا مهتدية بالكتاب الأخضر .

وقد ينفجر الموضوع انفجارا خطيرا على مستوى المجتمع من البداية كأن تعلن المؤتمرات الشعبية عن

نفسها وتطرد الموظفين والممثلين الحكوميين من كل المناطق الى العاصمة وتفقد الحكومة سيطرتها على الاوضاع نهائيا .

ان ثورة الغد اذن هي ثورة جماهيرية تقوم بها الجماهير الشعبية بشكل جماعي عصياني ترفع فيه جماهير الشعب راية الثورة في وجه الحكم الديكتاتوري التقليدي باعلان شعارات المجتمع الاشتراكي الجديد في السياسة والاقتصاد والاجتماع مفندة الاسس الدستورية والقانونية والاتفاقية لـروتين الحكـومة وصلاحيات اجهزتها ، معلنة :

- السلطة للشعب ولا سلطة لسواه .
- الديمقراطية هي الحكم الشعبي وليست التعبير الشعبي .
- شركاء لا اجراء .
- في الحاجة تكمن الحرية .

- الذي ينتج هو الذي يستهلك .
- البيت لساكنه .
- لا ديمقراطية بلا مؤتمرات شعبية واللجان في كل مكان .
- ان الحكومة والدولة والمجتمع هم افراد الشعب .

ان رفع الجماهير الشعبية لهذه الشعارات في الشارع يعني سقوط الاشكال التقليدية للحكومة الدكتاتورية المعمول بها في كل العالم اليوم .

كما ان مداهمة مجموعة من الشباب لمقر من المقار العامة وانتزاع علم الحكومة وتثبيت الراية الخضراء مكانه هو بكل تأكيد الحل الطبيعي الذي ستتداعى بعده الاحداث في أي مجتمع باتجاه اعلان المؤتمرات الشعبية واختيار اللجان الشعبية وانهيار مؤسسات الحكومة انهيارا سريعا يفوق التصور .

ان ثورة الغد هي ايضا ستتم كنتيجة لمجموعة من

التفاعلات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتي تساهم اللجان الثورية التي يشكلها افراد ثوار من الجماهير لقيادة الثورة والتحريض عليها في احداثها وتسييرها في خط يرفع درجة الوعي الشعبي ويدفع جماهير الشعب الى صفوف المواجهة مع النظم الرجعية المضادة للتقدم . .

ان مهمة اللجان الثورية تتركز في كل الاحوال خلال الجماهير الشعبية لإقناعها باطروحات الثورة وتبسيطها لها وقيادتها لتنفيذها والدفاع عنها .

وقد تتكون اللجان الثورية سراً في البداية .

وقد تبدأ ببناء مؤتمرات شعبية أساسية سرية ايضا كما قد تختار لجانا شعبية ادارية سرية في تلك المرحلة المبكرة .

غير انه ما ان تنفجر الاحداث حتى تعلن المؤتمرات

الشعبية الاساسية عن نفسها وتبدأ بحكم نفسها وقيادة مناطقها وتنظيم الدفاع عنها . . وتبدأ في الوقت نفسه مهمة اللجان الشعبية لتولي المهمات الادارية في المجالات الادارية المختلفة لتسيير العمل بالمرافق التي يحتاجها المواطنون عادة .

أما اللجان الثورية فإن مهمتها لا تتغير أبداً ، وفي كل الظروف ، سوى ان تتحول الى علنية حين يصبح الوقت ملائما أو حين ترى جدوى ذلك .

غير انها خلال مرحلة ثورة الشعب واستيلاء الجماهير على مقاليد الامور يزداد واجبها ثقلا وتزداد مسؤولياتها جسامة في الحفاظ على الثورة الشعبية ومكاسبها وترشيد الجماهير الى الثغرات والاخطاء المحتملة أو التي تقع فعلا والنضال من خلال جماهير الشعب لشن حركات سريعة وصاعقة ولكنها مبرمجة ضد اجهزة النظم الدكتاتورية تنهي الحكومة وتشل

قدرة مؤيديها . . . وتوصل الجماهير الشعبية الى النصر النهائي .

ان وعي الشرائح الشعبية في كل مجتمع هو الذي يحدد ساعة الصفر لبداية الثورة ، وهو الذي يحدد ايضا مسارها وقيمة الانجازات التي ستحققها .

ان احدا لا يمكنه ان ينوب عن الشعب في شيء خاصة في الشؤون التي تعد حقا طبيعيا للشعب واولها الثورة على الظلم والتخلف .

ان الثورة على القواعد الظالمة هي أول حقوق الشعوب الطبيعية والبدهية كما ان ارساء القواعد الصحيحة هو شأن الشعوب فقط ولا يمكن أن ينوب عنها فيه لا حزب ولا طبقة ولا مجموعة من الاحزاب ولا مجموعة من الاعيان .

تلك هي مفاهيم اللجان الثورية وقناعاتها التي تحكم علاقاتها بالجماهير الشعبية ، فهي تعرف ان

سلاحها الامضى هو وعي الجماهير وانتزاعها للمبادرة من ايدي الحكومات والاحزاب والمجموعات السلطوية التي تستهدف السيطرة على الشعب أو هي تسيطر عليه فعلا .

إن انتزاع الجماهير للمبادرة وقيامها بثورتها الشعبية ، مع أنه عمل باهظ الثمن وخطير فعلا وعظيم ، الا ان قيام الجماهير الواعية به يعد أمرا سهلا وعاديا ، ولهذا السبب تقوم اللجان الثورية بتحريض الجماهير على الثورة وتحرص على أن تعلمها دروسا مباشرة فيها كما تحرص على أن تكون خلال الجماهير أثناء القيام بالثورة تقودها باتجاه هدفها العظيم حتى لا تتعثر أو تخدعها القوى المضادة للثورة فتجهض حركتها أو تبتسرها ولا تدعها تصل الغاية المرجوة منها .

ان القوى المضادة للثورة ستعرف منذ الآن بشكل

لا يدعو الى الشك ان امتيازاتها وسلبياتها ستسحق على يد الجماهير وان مجتمعا جديدا بقيم جديدة ومفاهيم جديدة وبعلاقات عادلة تقدمية جديدة سيبنى على انقاض المجتمع الذي بني في الماضي على امتيازات ومصالح طبقات أو احزاب أو مجموعات مسيطرة ترفض وجود الجماهير الشعبية ، وتنكر على الشعب حقه في امتلاك مقاليد أموره وادارة شؤونه .

ان ذلك سيجعل القوى المضادة للثورة شرسة في مواجهتها وقد كانت كذلك وستكون مستقبلا اشرس ، مستخدمة كل وسائل الرجعية والامبريالية بدءا بالارث الاجتماعي والديني والسياسي حتى استخدام الاموال ودس العناصر المضادة في صفوف الثوار ، وتضييق الخناق على الجماهير الشعبية باستنزاف مواردها واحتياجاتها اليومية والاستنجاد بقوى خارجية لقمع الشعب وردعه ليتراجع عن مكتسباته مع اللجوء ايضا الى الجيش والشرطة

والتجار وجموع ارباب العمل لاكمال الحصار المعنوي والمادي ومواصلة الضغط على جماهير الثورة للتسليم فيما وصلت اليه والوقوف دون الوصول الى ما هو آت .. أو ما يجب أن يأتي منها .

ان وصول الشعوب الى غايتها في اقامة مجتمع العدل والحرية والتقدم الذي ذكرناه مرهون بشرط اساسي هو القيام بالثورة لتدمير القواعد الظالمة والخاطئة التي تجعل حركة الشعب مقيدة وتعرقل قدرته وتصميمه على العمل ..

وكذلك لبناء وارساء قواعد صحيحة وعادلة مكانها .

كما ان القيام بالثورة مرهون هو الآخر باكتشاف القواعد الظالمة والوعي بها ، ولعل الثورة الشعبية ستكون في بعض الحالات فورانا بلا نتيجة حاسمة لغياب القوة الثورية العقائدية التي ترشد الجماهير

الشعبية عند قيامها بالثورة الى الدرب الذي تنهجه ، وتعلمها ان تنفذ الى اهدافها وتستخلص نتائج نضالها في وقتها .

ان ذلك أمر ضروري لا بد منه للقيام بالثورة الشعبية وللمحافظة على مكاسب الشعب الناتجة عنها . .

نقصد ان اللجان الثورية مع انها تحرض الجماهير على الثورة فأنها قيادة طبيعية للثورة ذاتها ، وجودها وجود للثورة وليس من الممكن ان تكون الثورة الشعبية دون اللجان الثورية .

ان ثورة الغد غايتها الوصول الى مجتمع حر تسوده العدالة ولم يعد من ضمن غايات الثورة الصراع على السلطة والوصول اليها .

ان السلطة أمر مفروغ منه بعد الآن فهي حق طبيعي للشعب يمارسه مباشرة بلا وساطة ولا وصاية

ولا ارغام ، ان الثوريين في تحريضهم على الثورة لا يهدفون الى السلطة فليس من حق أحد، مهما كان، مصادرة سلطة الشعب وممارستها نيابة عنه .

ولعل التنظيم الثوري والسياسي الوحيد في التاريخ السياسي الذي لا يهدف الى السلطة هو تنظيم اللجان الثورية .

انه تنظيم ثوري يتكون من الدعاة والمبشرين الثائرين ذوي المقدرة على قيادة الجماهير الشعبية نحو الثورة والحرية والاستيلاء على السلطة والثروة والسلاح .

ان اللجان الثورية تنظيم ثوري سياسي يجمع عناصر مؤمنة بسلطة الشعب وساعية الى تحقيقها عن طريق الثورة الشعبية ووظيفتها تحريض الجماهير وقيادتها لذلك .

ان السعادة للانسان الفرد ، والانسانية كمجموع

هي الغاية القصوى والنهائية لثورة الغد التي انبلج فجرها الاخضر أخاذاً يأسر المشاعر ويبهر الابصـــار من وســـط صحراء الشـــرق الكـــبرى في افـــريقيـــا العـــربية عنـــد نقطة التقـــاء جغـــرافي وتـــاريخي يجمع بين ارث شعوب افريقيا السوداء وصوت آلات ومحركات سفن الشعوب الاوروبية وعلى مرمى حجر من آسيا وامريكا الجنوبية . . ان هذه هي بداية ثورة الغد ولا يستطيع احد ان يتكهن بنتيجتها ولا أن يتنبأ بمدة استمراريتها وصيرورتها ، ولكنها ستعم الأرض وستنتصر الانسانية بها انتصارها المبين على كل عوامل القهر السياسي والاستغلال الاجتماعي والاقتصادي والتزوير والاستغفال العقائدي والثقافي .

هذه هي ثورة الغد تنبلج بقوة وسط عالم يهيء لها سبل النصر بظروفه السيئة على جميع الأصعدة وسط عالم تجد فيه القوى الثورية تحريضا شديدا على الثورة والانقضاض .

ولعلنا لا نستبق الاحداث اذا قلنا : فلتعم الثورة ارجاء الارض . وليبدأ الطوفان .

بَدَأَ عَصْرٌ جَدِيدٌ

أحد المعلقين قال : « يجب دراسة الظاهرة القذافية فهي من أخطر الظاهرات وأهمها في عصرنا . . ذلك أنها شعبية وعلمية في نفس الوقت . . . » فهل قام العالم حقاً بدراسة هذه الظاهرة التي دعانا إلى دراستها هذا المفكر ؟!

لعله لم يفعل بعد . . ولكني أجزم بأنه سيضعها محل دراسة عميقة وجادة في أقرب وقت . .

أحد أساتذتي كان رأيه مخالفاً لي فأفادني بأن الشغل الشاغل لكل مثقفي العالم ومناضليه ان يطلعوا على هذه الظاهرة وان يلموا بأبعادها النظرية والعملية والانسانية والنفسية .

وأورد أمامي أمثلة حقيقية لذلك مضيفاً انه على الصعيد الأكاديمي صارت هذه الظاهرة أكثر الموضوعات حظاً في الدراسة والاهتمام ، ومهما قيل أو يقال عن عدم الاهتمام بها . فإن ذلك لا يعدو كونه في واقع الأمر مغالطة مقصودة فمن هم الذين لا يهتمون لهذه الظاهرة الأخاذة العميقة ؟!

حتى أعداؤ ها يدرسونها بعمق ليستخرجوا أسباباً من جعبتهم تمكنهم من مواجهتها أو ايقافها . . أما من فهمها بحياد فإنه منحاز إليها بلا شك فلم يبق في عالمنا من لا تستثيره هذه الظاهرة وتستحوذ على اهتمامه .

تذكرت هذا الحديث حين مر بي خاطر كثيراً ما ألح علي ، هو أن استقرىء المرحلة التي مرت في عمر الظاهرة القذافية ، فأجدني تائهاً مذهولا أمام عمق وسرعة الحركة التي تنجز بها الأشياء وتتوالد فيها المفاهيم وتصطدم عبرها العلاقات الجديدة التي

يجسدها فكر القذافي بالعلاقات القديمة لحياة الناس والشعوب .

بل كدت لا أصدق في بعض الأحيان أن تغيراً كالذي أحدثته هذه الظاهرة يمكن أن يحدث في ظل ظروف كالتي وجدت فيها .

ولكن أمام حقيقة دامغة لا يملك المرء أمامها إلا التأكد الملموس الذي يبعد أي شك في عمق التغيرات الحضارية والانسانية التي أنهت وجودات موروثة وأخرى مفروضة على المجتمع الانساني .

ان عشر سنوات قضاها القذافي في النضال السري تمكن من تتويجها بثورة قاد خلالها الجنود إلى تقويض أكثر أنظمة الشرق الأوسط تخلفاً ، متجاوزاً أكبر وجود عسكري لقوات حلف شمال الأطلسي في ثماني قواعد متفرقة على الساحل الليبي .

وأربع سنوات تلت ذلك اعتبرها القذافي بينه وبين

نفسه كافية لتحطيم رموز النظام القديم سياسياً واقتصادياً ومعنوياً ، وكافية لالغاء الوجود الأجنبي العسكري والاقتصادي المتمثل بالقواعد العسكرية والشركات النفطية وغيرها .

بل جعلها كافية لتفجير ما اصطلح عليه باسم « الثورة الشعبية » االتي أطلق شرارتها بنفسه في ذكرى ميلاد الرسول محمد عليه السلام بمدينة زوارة في إبريل 1973 .

تلك المباغتة التي اعتبرها في نظري البداية العملية لاتضاح معالم الظاهرة القذافية ، حيث واجه في تلك الثورة القوى السياسية والاجتماعية والاقتصادية القديمة كلها موجهاً إليها اتهاماً مباشراً بالتخلف والخيانة واحتقار ارادة الشعب والعمل الأناني لمصالحها متحالفة مع مصادر تمويلها وتوجيهها في الغرب الاستعماري .

فتكالبت تلك القوى مرة واحدة تنهش القذافي المتمرد على طقوسها القاهرة والمعرقلة للتقدم . .

وبدأ الانشقاق واضحاً بين طريقين لا ثالث لهما ، اما طريق القذافي الذي يدعو إلى سيادة الشعب واسقاط أدوات التحكم والقهر والاستغلال . .

واما الطريق المضاد له كوحدة واحدة بغض النظر عن التفريعات التي تكونه من الداخل . .

ورغم ان الحلف المعادي نجح في استقطاب قوى مختلفة ومتناثرة كان لها وجودها داخل السلطة انئذ ، إلا انه كان يعرف مقدرة القذافي الاسطورية على تجاوزه وتدميره بفضل تحالف الجماهير الشعبية معه واتخاذها له رمزاً سياسياً في شخصه ، ورمزاً اجتماعياً ، وأملا مستقبلياً فيما يمثله من طموحات حضارية وتقدمية اشتراكية واضحة .

حقاً كان الشارع هو الذي يدعم القذافي سواء في

ليبيا كدويلة صغيرة ميسورة على شاطىء المتوسط أو في الوطن العربي المترامي شرقاً وغرباً حيث يتسقط الشارع هناك أخباره ويتابعها بتلهف شديد ، وحتى على امتداد الساحة الاسلامية لا يدعمه إلا الشارع في حين احتفظ (السادة والوجهاء) بموقف مضاد أو متخوف منذ البداية . .

لكن الظاهرة القذافية كانت عميقة ومدروسة وليست ارتجالية . . ففي حين احتفظ القذافي بقيادته العفوية للجماهير الشعبية في ليبيا والوطن العربي وفي العالم الاسلامي ، لم يؤثر ذلك كما أثبتت التجربة ـ على عمق هذه القيادة ورسوخ نموذجها الفريد بسبب قوة المنهج الثوري الذي انتهجته وبسبب وضوح الرؤيا العلمية لديه في كل الأمور التي قدر له أن يتعامل معها مباشرة في المحكات العملية أو قدم لها حلا نظرياً حين اعتقد انه بحاجة إلى ذلك .

ولقد برز اعتماده على الجماهير الشعبية حين وجه الضربة القاضية للحلف المعادي للثورة الذي تشكل عقب اعلانه الثورة الشعبية حين سقط عدد من العسكريين والمدنيين في وهـدة التآمـر على الخط التحرري الديمقراطي التقدمي الاشتراكي الذي قدمه القذافي ودعمته وأيدته الجماهير الشعبية .

في أغسطس وسبتمبر 1975 م . يلاحظ المتتبع للظاهرة القذافية عمق الارتباط وقوة الدعم الذي تحظى به هذه الظاهرة من قبل الشعب ، حتى انه يجب القول أنها سمة رئيسية وعلامة أساسية في هذه الظاهرة انها جماهيرية شعبية بطبعها ونهجها ومعاركها التي ادارتها عبر ست سنوات من استلام مجلس قيادة الثورة الذي شكله القذافي عـلى رأس حركـة الضباط الوحدويين الأحرار للسلطة في ليبيا .

لكن ثورة الطلاب التي أعطى القذافي بنفسه اشارة

بدئها في خطاب له القاه بقرية سلوق في إبريل 1976 م كانت بداية علمية لعمل عظيم يجعل متابعته والكتابة عنه أمراً صعباً بسبب ثرائه وغزارة النتائج التي تمخضت عنه والمعارك التي فتحها بعد ذلك ترتيباً على هذه الثورة داخل الجامعات والمعاهد والمدارس مباغتاً ومبادراً كعادته ـ لاستثمار الفوز تلو الفوز في حركة دائبة لا تكل ولا تهن للوصول إلى مجتمع الحرية والعدالة والتقدم الذي ينشده ، جاعلا من المؤسسات العلمية والتعليمية حصوناً للحرية والثورة ناقلا النضال من معسكرات الجيش الذي يخضع لحركة الضباط الوحدويين الأحرار وهي التنظيم الثوري الذي شكله وقاده لاسقاط النظام الملكي . . إلى فئات المتعلمين والمثقفين والأكاديميين شروعاً في تسليم السلطة والثروة والسلاح إلى جماهير واعية قادرة رغم ظروفها الموضوعية التي رأى انها لا تحول دون ممارستها السيادة على نقيض رأي غيره فيها .

عبد الله يوسف الكويتي

فقد كان لا بد أن تستلم الجماهير سلطتها وتقيم أول جماهيرية في التاريخ البشري في مارس 1977 م . بعد عام واحد من ثورة الطلاب محدثاً لأول مرة في عمر الانسانية تغييراً جذرياً في أوضاع السلطة والعلاقات الاجتماعية على مستوى الفرد والجماعة وعلى مستوى الأسرة والطبقة .

لقد استوقفني هذا الحدث بسبب جدته وأهميته ذلك هو ثورة الطلاب فمع وجود ما يستحق الدراسة من انجازات عظيمة على طول أثني عشر عاماً من انتصار الثورة فإن ثورة الطلاب كانت حدثاً أساسياً في مسيرة هذه الظاهرة التي أتحدث عنها .

ففي خضم اللطمة الشديدة التي وجهها القذافي للمتآمرين على الخط الثوري الجماهيري لجأ الحلف المعادي للشعب إلى محاولة تفجير معركة عامة وقودها المصالح الطبقية القديمة وتجهيل الجماهير ، وقد

وجدت في المؤسسات التعليمية مبتغاها بسبب انتماء هذه المؤسسات شكلا ومضموناً للمجتمع القديم ، حيث تعشش بها القوى الرجعية المناوئة للحرية والعدالة والتقدم والتي تعتبر نفسها بانتماءاتها الطبقية وثقافتها البرجوازية جزءاً من القواعد الأجنبية التي أجليت عن البلاد مرغمة وكان عداؤها جذرياً للجماهير بسبب ذلك . . ولم يكن أمام الثورة إلا خوض معركة شاملة ضد كل القوى الرجعية المضادة للحرية . . فكان ان فرض القذافي المعركة على هذه القوى ملحقاً بها هزيمة وراء هزيمة . . غير ان الهزيمة التي تلقتها عند تفجير ثورة الطلاب كانت فوق قدرتها على المقاومة فانهارت دفاعاتها ومتاريسها وفتح الباب واسعاً أمام الثورة الثقافية التي عن طريقها بدأ الشعب باسترداد مؤسساته التعليمية واستخدامها في تنفيذ برامجه التنموية والثورية .

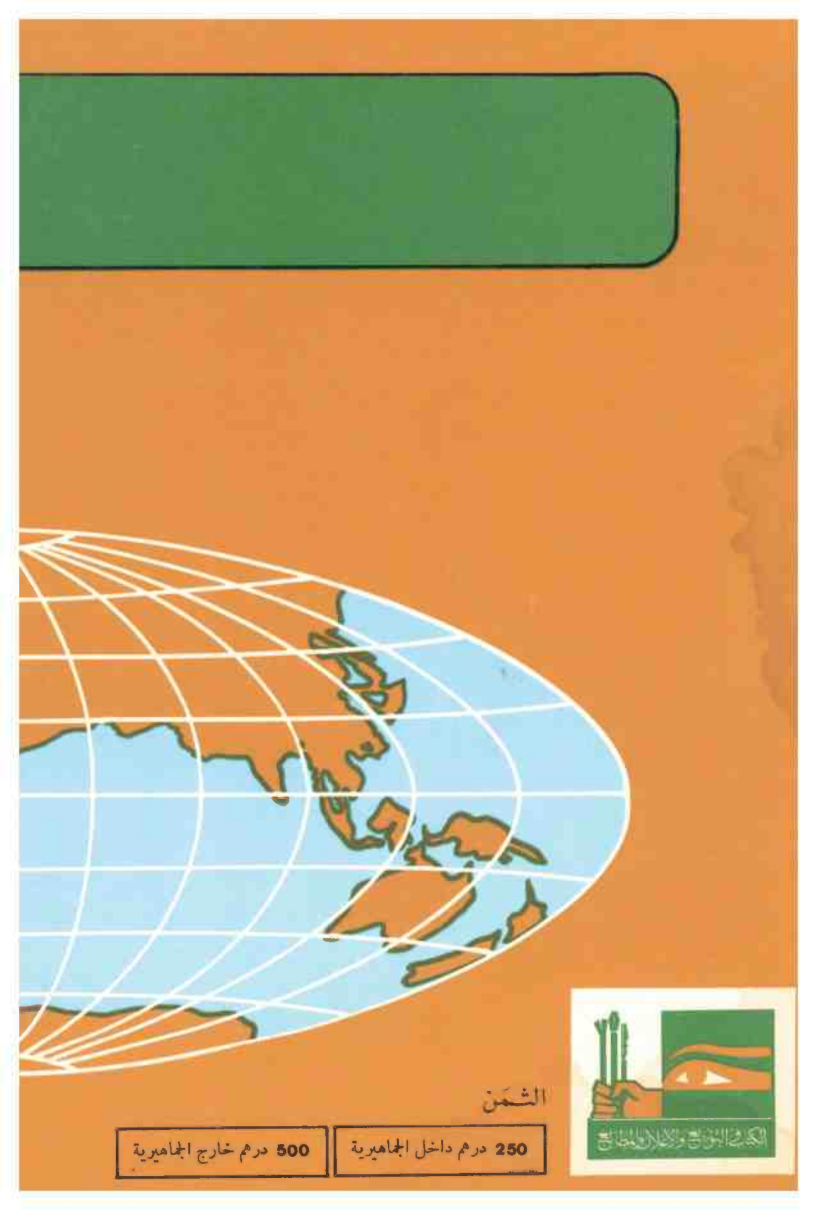
وفوق ذلك فقد مهد بهذه المعركة لاعلان سلطة

الشعب فقد قضت المعركة على الـرجعية كقـوة اجتماعية وسياسية . . وفقدت قدرتها على العمل المضاد للجماهير . . وصار في مقدور الجماهير ان تطمئن على مستقبلها وان تواصل نضالها لاستلام السلطة وترسيخ وتأكيد استيلائها عليها .

فيقال دائما ان « السابع من إبريل قرب من قيام سلطة الشعب » وتلك حقيقة . .

لكن هذه الظاهرة في مجملها تدعو إلى الدهشة بسبب الدقة والتنظيم في ادارة المعارك السياسية التي تنشب كـل يـوم ضـد التخلف والجهـل والقيم الرجعية . . وتنتزع الاعجاب لاطروحاتها العظيمة التي ولدت حركة في حجم ثورة الطلاب وثورة العمال وفي قمة ذلك كله اقامة سلطة الشعب . . التي تجـاوزت ان تكون ظـاهـرة بـل صـارت واقعـاً حضارياً . . ووجوداً راسخاً ومعيناً دفاقاً لا ينضب

يدعم نضال الشعوب في الحرية والانعتاق من التبعية والهيمنة والاستغلال . .


الثمن
250 درهم داخل الجماهيرية
500 درهم خارج الجماهيرية